المسألة الثامنة عشرة

خلق الأفعال بين الله والناس

خلق الأفعال : أصولها وما يتولد منها :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى :

ان سالوك : أخلق الله الكفر والإيمان ؟ فقل : نعم خلقهما الله عملاً من العباد ، ولم يعملهما على وجه ما عملهما العباد ، العباد يزنون ويسرقون ، ولم يفعل الله ذلك ١٠٨ظ/ على ما فعله العباد ، ولكن الله ، عز وجل ، خلق عملهم، فخلق الطاعة والمعصية ، عملاً من العباد / وكذلك كل شئ صنعه العباد ، وعملوه ، فالله خالق عملهم ، عملاً منهم .

واعلم انه ليس كلام تكلم به أهل القبلة من الجور ، أقرب إلى الزندقة من قولهم : إن الله لم يخلق أفعال العباد ، فهو إذاً لم يُضحك ، ولم يُبك ، ولم يجعل اختلاف الألسنة ، ولا خلق السرابيل ؛ لأن خلق الألسنة لم يختلف ، وإنما اختلفت اللغات ، وإنما كتبت هذه المسالة، لتعرف ما يدخل عليهم فى هذا الكلام ، فاحسن اللفظ ولا تعجل .

واعلم انهم إن قادوا كلامهم على هذا ، زعموا ، أن الله لم يخلق ثوباً ولا نهراً ولا ضحكاً ولا بكاءً ، ولم يسق الله عطشاناً ولم يطعم الله جائعاً ، ولم يجعل الله أكناناً من الجبال ،التى عملها العباد، ولا قصراً من السهل ، وأشباه هذا الذى عمله العباد ، ولم يخلق الله كفراً ولا إيماناً ، ولم يجعل الله الإيمان غير الكفر ، ولا الكفر غير الإيمان ، ولم يحسّن الله إيماناً ولم يقبّح كفراً ، هوان ذلك كله عمله العباد وصنعوه وحسنوه وقبحوه ، ولم يحمل الله فى ذلك، ولم يجعله وأشباه هذا ، فهو أكثر من أن نصفه لك .

بين فعل المستقبل وفعل المشارك :

رد أحمد بن يحيى :

الجواب ، قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، : قد صح لنا أنك من القوم

الذين قال الله ، جل ثناؤه ، فيهم : ﴿ **الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** (١٠٤) ﴾[١]، وقد فهمنا ما ذكرت ،من فريتك على الله ، عز وجل عما قلت، ومن أن الله خلق أفعال العباد ، فخلق الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، عملاً من العباد ، ولم يفعل ذلك ، زعمت ، على وجه ما فعله العباد ، فقد أجبناك على أشباه هذه المسألة ، في غير موضع.

ومن جوابنا لك، أن المسألة القاطعة، التي سألناك فيها عن أيهما أفضل : أفعل الله الذى ليس للعباد فيه اكتساب ولا فعل ، أم فعل الله الذى للعباد فيه اكتساب وفعل؟!..

وتلك حجة لاقوام للمجبر بعدها ابداً ، ولا مخرج له منها ، وهى قبل كلامنا هذا ، فاستغنينا بها عن إعادتها .

وأما قولك : إنه لم يتكلم أحد من أهل القبلة بجور ، أقرب إلى الزندقة ، من قولنا هذا : إن الله لم يخلق أفعال العباد .

ونحن نقول أنْ ليس قول أوسط فى التعطيل والشرك ، والخروج من الإسلام جملة ، من قولكم : إن الله خلق أفعال العباد ، ثم غضب مما خلق ، وعذّب على خلقه ، فإذا نظرت فى المسألة التى فوق هذا الكلام ، من هذا الكتاب الذى شرحناها ، كان مثلك عندما نظرت إليها ، مثل الرجل الذى ذكروا أنه أشرف على نخل البحرين ، فلما رأى ١٠٩و/ كثرته / واتساعه وعظم شانه ، قال امرأته طالق، ما على وجه الأرض نخل هو أكثر من هذا النخل ، ثم سار أياماً حتى أشرف على نخل البصرة، فلما نظر اليها ، وبان له كثرتها وعظيم شانها ، وهول ما عاين منها ، وأنها أكثر وأجل من النخل الذى حلف عليه ، فلما خاف الحنث – زعم – فى يمينه التى حلفها ، قال عند ذلك ، إن شاء الله !!

فهذا مثلك إذا نظرت فى جوابنا فى خلق الأفعال .

وأما قولك : إنه يلزمنا أن الله ، عز وجل ، لم يُضحكْ ، ولم يُبكِ ، ولم يجعل اختلاف الألسنة ، ولا عمل السرابيل !

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٤ ، كتبها الناسخ خطأ هكذا : ﴿ اولئك الدين ..

حريـة الفعـل الإنسانـى :

فنحن نقول : إن الله ، جـل ثنـاؤه ، خلـق فينا الاستطاعـة قبل الفعـل ، وفوضنا فى الحركات ، بعد الأمر والنهـى ، وحكم الكتاب ، فإن شئنا قمنا ، وإن شئنا ضحكنا ، وإن شئنا بكينا ، وإن شئنا مسكنا ، وإن شئنا فجرنا ، وإن شئنا امسكنا عن الفجور ، وإن شئنا آمنا ، وإن شئنا كفرنا ، وإن شئنا صلينا ، وإن شئنا لم نصل ، وإن شئنا صمنا ، وإن شئنا لم نصم ، ولذلك لزمتنا الحجة ، ووجب علينا الحكم من الثواب والعقاب، والجنـة والنار ، شاهـد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾[1] .

وأمـا قولـه : ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾[2]، فإنمـا يعنـى ذلك ، مـا فـى الدنيا من العبـر ، التى تضحك وتبكى ، الا تـرى انه ، عـز وجل ، قـال : ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾[3]، وليس هو ، جل ثناؤه ، الذى يحضر الموتى ولا يدفنهم ، فعلى هذا القياس يخرج الإبكاء والإضحاك ؛ لأن استطاعة البكاء والضحك، موجودة فى بني آدم من قبل الفعل .

وقـوله ، عـز وجل ، : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[4]، والله ، عز وجل ، لم يبر[5] الأقلام ، ولم يستمد بها من الدوى ، ولم يخط بها فى الألواح ، ولا فى الصحف ، وإنما هداهم للتعليم .

وكذلك هداهم إلى صنعة الدروع وغيرها ، ولم يصنعهـا هو دروعاً ، عز عن ذلك رب العالمين .

هل خلق اختـلاف الألسنة ؟!..

أما اختـلاف الألسنة ، فهو الدلالة على كل لغة والتعريف بها ، لأنه خلق ذلك الكلام الذى قال أهل اللغات ، وجاء فى الخبر أن لغة بنى آدم افترقت ثمانين لساناً ،

---

(١) سورة يس : الآية ٥٤ .

(٢) سورة النجم : الآية ٤٣ .

(٣) سورة عبس : آية ٢١ .

(٤) سورة العلق : الآيات ٣ - ٥ .

(٥) فى الأصل : يبرى .

فلو خلق كلام المتكلمين ، لكان الخالق لقول الكفار . أنه ثالث ثلاثة ، ولو كان ذلك منه، لم يجز فى الحكمة، ولا فى العدل أن يخلق قولهم أنه ، عز وجل ، ثالث ثلاثة ، ثم يقول: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾[1]، ويلزمكم أنهم لو انتهوا عن قولهم: إن الله ثالث ثلاثة، كان القول الآخر، الذى صاروا إليه ١٠٩ظ/ وانتهوا فيه عن/ الأول، هو خلق الله أيضاً، فإذاً هو ينهاهم عن خلقه، ويحولهم إلى خلقه ، وهذا هو المحال!! .. والله، عز وجل، لايأمر بالمحال ثم يغضب، زعمتم، من خلقه، وتغضب السماوات والأرض والجبال، فيكدن أن يتشققن وينفطرن ويتهددن من خلقه ، زعمتم ، ثم يخلد العباد فى النار، على خلقه وإرادته وتقديره !!

فعل الله كله حكمة :

وهذه صفة أهل العبث، واللعب والتخليط والمجانين ، وليس هذه صفة الحكيم الرحيم العادل ، الذى لا ضلال فى حكمته ، ولا عبث فى تقديره ، ولا حجة لأحد فى صنعه وخلقه ، عز عن ذلك ربنا وتعالى .

ثم نقول لك : أخبرنا عن إرادة الله ، عز وجل ، لكفر خلقه ، زعمت ، هل هو أهلٌ لما أراد من ذلك ؟

فإن قلت: نعم، هو أهل لما أراد من ذلك. فإن قلت: نعم، هو أهل لما أراد من ذلك.

لزمك أن الله ، عز وجل ، أهل أن يكفر به ! .. وبان كفرك ، وحسبك بهذا جهلاً .

وإن قلت : إن الله ليس بأهل لما أراد من الكفر .

لزمك أنه ليس بأهل لما أراد ! .. وفى هذه فضيحتك وانقطاعك، فاختر أى القولين شئت ، ففى هذه المسألة وحدها ، قطع كل مجبر على وجه الأرض .

هل خلق السرابيل؟

وأما السرابيل التى سالت عنها ، فهى أيضاً دلالة الله ، عز وجل ، دل عليها

---

(١) سورة المائدة : الآية ٧٣

المؤمنين، وتعريف عرفهم به ؛ ليتحصنوا بها عن الظالمين ، دل الله ، جل ثناؤه وعز ، نبيه داود ، صلى الله عليه ، فعملها بيده وقدَّر سردها باستطاعته ، ولم يخلق الله ، عز وجل ، الدروع خلقاً ومساميراً ، وإنما خلق الله ، عز وجل ، عين الحديد، ومن ذلك الحديد عمل الناس الدروع ، وكذلك جميع الصناعات ، ولم يخلق الدروع فيكون زرَّاداً ، ولا السفن فيكون نجاراً ، وقد قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾(١)، فهل نقول إن كُلَّ كتاب كتبه أحدٌ ، من كفر وإلحاد وتشبيه ، وجبر وشعر وغناء، وسفه وفساد، أن الله ، عز وجل ، هو الذى كتب ذلك الكتاب ؛ لأن خلقه فعله ، زعمت ، وفعله صنعه ، وأنه فعل خلق أفعالهم ؟!!..

فيلزمك انه إذا تكاتب سفيهان بالسفه ، أحدهما إلى الآخر ، كان الله عندك هو الذى كتب ذلك الكتاب وخلقه !!.. وكفاك بهذا فريةً على الله ، عز وجل.

وقد سمعت كيف اخبر ، عز وجل ، عن أمره لداود لصنعه الدروع ، ولنبيه نوح ، صلى الله عليهما ، بعمل السفينة ، وأنه لبث سنيناً كثيرة يعملها ، وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه ، ولو كان الله ، عز وجل ، الذى عملها ، لوجب عليك أنها ١١٠و / لم تنجح لله ، عز وجل ، إلا بعد سنين / كثيرة ، ولم يصح قوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٠) ﴾(٢)، من غير نجار ولا زرَّاد ، ولا حداد ولا صانع !!..

فجعلت أنت أفعال العباد كلها، فعلاً لله، تعالى ؛ لجهلك بعدله وحسن تقديره ، وأنه لا يعذب على صنعه، وعلى أمر اضطر العباد إليه .

وقد أعلمناك أن الجعل فى كتاب الله ، عز وجل . على وجهين : جعل حكم وتسميه ، وجعل حتم ولا مخرج منه ؛ وقوله ، عز وجل .: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) ﴾(٣)، فذلك فى الفلك خاصةً ، دلالة وتسمية، لا أنه نجرها ولا دسرها، ولا أنهم يركبون الفلك ، لابدَّ لهم من ركوبها حتماً ، إنما الأمر إليهم، إن شاءوا

---

(١) سورة العلق : الآيات ١ ـ ٥ .

(٢) سورة النحل : آية ٤٠ ، أخطأ الناسخ فكتبها هكذا : ﴿إنما أمرنا

(٣) سورة الزخرف : آية ١٢

ركبوها، وإن شاءوا تركوها ، تخييراً لا جبراً ، وإنما أخبرهم بالنعمة، فيما سخر لهم من العيدان ، والدلالة على عمل النجارة، والمسافرة على وجه الماء ، فهذه نعم، يجب أن نشكر ونعترف لمن تفضل بها .

وكذلك ما اعتللت به من العطشان، والجائع والعارى، فالله ، عز وجل ، الذى خلق الطعام والشراب، وأمر بالإحسان إلى الجياع والعطاش ، ولم يطعمهم من طريق الضيافة، والتلقيم لهم، ولا حمل الكؤوس إلى أفواههم ، ولا النسيج لثياب العارين ، وإنما أمر بالإحسان من بعضهم إلى بعض ، وحض عليه ، وقال ﴿ **وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾[1] ، فهذا إطعامه وكسوته ونعمته ، وقال : ﴿ ..**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴿٣٤﴾ ﴾[2]، وهذا هو وجه القول ، وإصابة المعنى ، لا ما ذهبت إليه من أن الله ، عز وجل ، هو الذى يفعل جميع أفعال العباد ، وأنه ، زعمت ، الذى خلق السفن والدروع ، وغير ذلك من أعمالهم التى عملوها بأيديهم ، واتخاذهم للأصنام/ !!..

فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

فإن قلت : إنه قد قال فى كتابه : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴿٩٦﴾ ﴾[3] . قلنا لك : إنه خلق الذهب والفضة، والنحاس والحديد، والخشب والحجارة، التى عملوا منها الأصنام، فصوَّروها وقدَّروها ونحتوها ، وليس ذلك الذى عملوا بأيديهم، فعلاً لله ، عز وجل ، وإنما فعله خلق الأشياء التى منها عملوا ، ولو كان فعل فعلهم ، لوجب لهم عليه، أن لاينذبهم إلى طاعة، ولا يسالهم تقصيراً ، ولا يعذبهم على غير جرم ، وهو الذى فعل جميع أفعالهم، وقد أخبرهم أنه لايجور عليهم ، ولا يظلمهم ، وأنه يريد بهم اليسر، ولايريد بهم العسر . فأى عسر أعسر مما قلتم ، وأى ظلم أكبر مما ذكرتم؟!.. عز عن ذلك اللطيف الخبير .

***

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٧ .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٣٤ .

(٣) سورة الصافات · آية ٩٦

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عند ذلك، كيف جعل الله السرابيل ١١٠ظ/التى تقى / الحر، وتقى البرد ، وكيف جعل الله من الجبال أكناناً ؟ مما لم يكن فيه ذكر ، إلا بعمل الناس، أفعل الله ذلك الخلق ووصله ، وغزل القطن ، والكتان وحاكها ؟!.. فإن قالوا : لا .. فقل كيف جعل الله السرابيل ؟!.. فإنهم لن يجدوا من أن يقولوا : خلْقُ الله عمل الله ، وجعْل عملهم .

فقل : أفليس الله جاعل عملهم، وخالقه وصانعه ؟!..

فإنقالوا : نعم . فقد أعطوك ، بأن الله خالق أعمال العباد وصنعهم ، وهذا قولنا، وهو العدل .

فإن أبوا أن يطعوك هذا ، فاعد عليهم المسألة ، فقل : كيف جعل الله إذاً السرابيل، التى تقى الحر، والتى تقى البأس ، أهو خلق الخلق وصنعه ووصله ، وهو الذى غزل وحاك وخاط الثياب ؟!..

فإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجدوا بداً من أن يجعلوا صنع الله فيها، خلق الله لأعمالهم ، وجعل الله لأعمالهم هو صنعه .

ثم سلهم عن قول الله ، سبحانه : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ..﴾[1] .. كيف جعل الله الفلك ؟..

فإن قالوا : خلق الشجر. فقل لهم عند ذلك : أليس إذا رأينا خشبة أو شجرة ، قلنا : هذه فلكٌ؟!..

فإن قالوا : نعم.. فهذا ما لا يقبله أحدٌ ، ويعلم من سمعه أنه كذبٌ ، ولن يعطوك هذا .

وإن قالوا : جعل الله لعمل العباد ، وصنع الله لعملهم ، فهو قوله : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ﴾ .

فقل لهم حينئذ : هذا قولنا ، إنا نقول : إن جعل الله للفلك ، جعله لعملها ، وكلها

---

(١) سورة الزخرف : الآية ١٢ .

جعل الله ، وجعله فهو خلقه ؛ لأن الله جاعل ما خلق ، وخالق ما جعل ، وخلقه وجعله وصنعه للأشياء واحد، لم يصنع الله شيئاً لم يخلقه ، ولم يخلق الله شيئاً لم يجعله .

وإن ذهبوا يلوون ألسنتهم بشئ ، فسلهم : كيف جعل الله الفلك ؟.. أهو شق الخشب وحورها ونحتها ؟!.. فإنهم لن يعطوك هذا ، ولن يجدوا جواباً، إلا أن يقولوا: إن جعل الله لها، خلق الله لعمل العباد لها .

رد أحمد بن يحيى:

الجواب : قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، قد فهمنا ما سألت عنه ، من إضافتك إلى الله ، جل ثناؤه ، خلق السرابيل، التي تقى الحر والبأس ، وعمل الأكنان والسفن، وغير ذلك من أفعال العباد، التي أضفت إلى الله ، جل ثناؤه ، وتريد بذلك أن تلزمنا ، أنه عمل الزرارة والنجارة ، والخياطة والخرازة ؛ لتثبت أنه الذى فعل الزنا والشرك، والكفر وجميع المعاصى ، جل الله وتعالى عما قلت، قدوس قدوس رب العالمين .

١١١و/ وأما قولك : إنه يلزمنا ، إذا أنكرنا عليك أن الله برئ مما أضفت إليه ، أنه لم يجعل أكناناً / من الجبال التى عملها العباد ، وكذلك السفن والزروع وغيرها ، فلذلك نقول : إن العباد هم الذين حفروا بعض الكنان التى فى الجبال ، وعملوها بمعاولهم وأيديهم ، وقوتهم المركبة فيهم.

وأن الله ، عز وجل ، لم يعملها ، ولم يحفرها بالمعاول ، وإنما جعل الأكنان والكهوف التى هى فى الجبال ، مخلوقة بلا معاول ولا كلفة ، قال لها : كونى . فكانت من آخر ساعتها .

فكذلك فعله ، عز وجل ، المخلوق فى الجبال ، والعباد ما عملوا أكنانهم التى [1] حفروها بعد الدهور الطويلة ، والتعب والنصب . وكذلك القصور ، ولم يقولوا لها : كونى . فكانت .

---

(١) فى الأصل : الذى

وليس لله ، جل ثناؤه ، فى فعلهم لها فعل ، غير ما أعطاهم من القوة، التى اختاروا بها ما أرادوا .

فهذا قولنا ، والدليل على ذلك قوله ، عز وجل ، : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[1]، وقوله : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) ﴾[2].

أفلاه تراه كيف أضاف اتخاذ المصانع إليهم ، عاب عليهم اتخاذها ، لعلهم يخلدون، ولم يقل كما قلت ؛ أنه خلف ماعملوا فيها . فهذا شاهد من كتاب الله ، جل ثناؤه .

وزعمت أنك لا تستطيع أن تكتب علينا كل ما يدخل فى مسائلك ؛ لأنها ، زعمت ، تكثر ، وأنت أيها المسكين المغرور ، لم تظن أن يحلّ بك منا ما حل ، ولا ينزل بك ما نزل ، وليس صبىٌّ من صبيان أهل العدل، يهوله مسائل الجبر ؛ لأن الحق انما جعله الله ، عز وجل ، حقاً فى نفسه بالجد ، والباطل جعله باطلاً فى نفسه بالحكم والتسمية ، لا بالخلق والجبر .

فمحال أن يزهق حق ، ويثبت باطل ، وإنما الذى يزهق الباطل ، ويثبت الحق .

وكذلك قال رب العالمين : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) ﴾[3]، وإلا فاوجدنا ، إن كنت صادقَ قوىَّ الحجة ، أين موضع خلق الله لأفعال العباد ، حتى نعرف كيف ذلك الخلق ، وكيف صورته ؟!! .. وأين موضعه ، وإين يكون ، حتى تفرق لنا بينه وبين فعل العباد ، ولو بمقياس شعرة؟!! ..

فلن تجد ذلك أبداً بنور الله ، وبراءته من قولكم .. وأما قولك أنك[4] تسأل عن قول الله، جل وعز ، جعل لكم سرابيل تقيكم الحر ، وسرابيل تقيكم باسكم .

فقلت : كيف جعل الله السرابيل ؟ ، وكيف خلقها لهم ، وهم الذين عملوها ، كما عملوا الكفر والإيمان ؟ ..

---

(١) سورة الروم : الآية ٤١ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٢٩ - ١٣٠ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٨ .

(٤) فى الأصل : ان .

١١١ظ/ فإن قلنا لك: / زعمت : إن الله خَلَقَ الشجر ، الذى يكون منه الثياب ، وخلق الحديد ، الذى يكون منه السرابيل . فتسألنا ، زعمت : هل يجوز إذا رأينا حديداً أن نقول : هذا سرابيل ، وإذا رأينا شجر قطنٍ أو قطناً أو كتاناً ، قلنا : هذه سرابيل تقينا الحر ، ولم تغزل ، ولم تنسج ، ولم تُحك ، ولم تُعمل ، وإذا رأينا جبلاً مصنوعاً ليس فيه كِنٌ ، قلنا : هذا كن ؟!! ..

فإذا قلنا : نعم ، زعمت .. قلت : فهذا ما لا تقبله العقول ، ولا يمترى فيه أحد أنه كذب .

الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، فجوابنا لك أنه يلزمك فى هذه الدعوى ، مثل ما يلزمنا لك ، وقد علمت ، وعلم أهل العقول ، أنا لا نقول أن الحديد ولا القطن ولا شجر القطن ، يجوز فى اللغة أن يسمى [1] سرابيل تقينا الحر وسرابيل تقينا البأس .. ولا يجوز أن يقال لجبل ليس فيه كِنٌ : إنه كِنٌ . هذا باطل فاسد ، محال من المقال لايقوله أحد ، ولا يذهب اليه متكلم .

ويلزمك ان الله ، عز وجل ، خلقها منفرداً بخلقها ، ثم أوجدها ، فعمل العباد منها السرابيل ، هم منفردون بعمل ذلك؛ لأن الله ، عز وجل ، الذى فعلها ، لم يعمل الدروع حلقاً مدوّره ولاسمّرها بمساميرها دُسُراً ، ولا جعل لها الجيوب ولا الأكمام ، ولا حفر الكهوف فى الجبال بالمعاول ، وإنما خلق اللهُ ، عز وجل ، الحديدَ الذى منه عُملت الدروعُ ، وخلق الشجر ، وخلق فيه القطن ، الذى منه عمل الناس الثياب، وحاكوها هم منفردون بعمل ذلك كله ، والحديد والشجر .

وجميع ما خلق الله من الاشياء ، التى منها اشتق العباد ما عملوا ، كل ذلك ، موجود غير معدوم ولا مفقود ، تبصرهُ الأعيان وتحسهُ الأيدى ، وتدركه جميع الحواس ، وتوقن به العقول ، ويوجد جسماً مجسماً مرايا [2] مدركاً حاضراً معروفاً ، لا شك فيه ولا مرية .

وعند ذلك تلزمك ، أيها المفترى على الله ، عز وجل ، الفريةُ العظيمة فى قولك :

---

(١) فى الأصل : يسما .

(٢) فى الأصل : مريا .

إنه خلق الكفر والشرك وجميع القبائح والمعاصى ، كما خلق الحديد وشجر القطن ، والكهوف الموجودة فى الجبال من خَلْقِ الله ، عز وجل ، وتقديره ، وانك تُلْزِمُه ، عز وجل ، أنه خلق الدروع وحالَ الثياب وعمل السفن والصناعات والكهوف المحفورة .

فنقول لك ، أيها السائل المفترى على الله : اوجدنا الكفر والشرك والزنا والخنا ، وقول الكفار : إن الله ثالث ، ثلاثة وان له ، عز وجل ، صاحبةً وأولاداً ، وكذلك ١٢٢ و/ توجدنا قتل الأنبياء وأئمة الهدى ، كما أوجدتنا الحديد الذى منه عُملتْ/ الدروعُ والشجر ، الذى منه عمل القطن، والخشب الذى منه عملت السفن، وجميع ما ذكرت، حتى نبصْره بالاعيان وتلمسه الأيدى، وتدركه جميع الحواس ، ويكون جسماً موجوداً معروفاً قد تميزه ، من قبل فعل الآدميين له ، كما تميز الحديد، وشجر القطن وغيره ، من قبل عمل الآدميين له، فتوجدناه جسماً معروفاً مقدوراً عليه ، ومنظوراً إليه ، أومسموعاً صوته ، أومشمومةً رائحتهُ ، او مدركاً ذوقُه ، او ملموساً بحاسة، أومحوياً بقطر من الأقطار ، كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب، وغير ذلك مما خلق الله ، عز وجل .

لابد لك من ذلك وإلا لزمك ، أنك تناظرنا على أمر محال ، وخلق لايدرك ولايعرف ، ولا يوجد منجسماً ولا مراياً ولا ملموساً ، فتكون دعواك باطلة بلا بينة ، ولا أمر تشهد عليه العقول والألباب، ولا تدركه الحواس، ولايوجد فى لغة العرب ، ولا يوجد فى كتاب ولا سنة !!

وإنما هذه من نزغات الشيطان ، القاها فى قلوبكم وعلى السنتكم ، لتثبتوا بها حجة المشركين والكافرين والزناة وقتلة الأنبياء، وجميع العاصين ، وأن تكون الحجة لهم على الله لازمةً ، وعليه قائمة ، بما خلق لهم ، زعمت ، وفيهم من الشرك والكفر والزنا واللواط، وجميع المعاصى ، فاخذوا كل هذه الفواحش والكبائر ، من فواحش قد وجدوا ربهم ، زعمت ، قد سبق إلى فعلها ، وخلقها قبل خلقهم لها ، فمنها عملوا وفيها أخذوا ، ولولاها ما وجدوا كفراً يكفرونه ، ولا شركاً يشركونه ، ولا زناً يزنونه ، ولا لواطاً يلوطونه ، ولا قتلاً يقتلونه ، ولا عصياناً يفعلونه !..

كما أنه ، عز وجل ، لم يخلق لهم الحديد ، وشجر القطن ، والتراب والماء والحجارة، والأدم والصوف والشعر والجبال، ولم يجدوا حديداً يعملون منه الدروع،

ولا شجر قطن، يحوكون منه الثياب، ولاصوفاً يعملون منها الأكسية، وغيرذلك من الأثاث، ولا تراباً، ولا ما يعملون منه القصور، ولا خشباً يعملون منه الأبواب والسقوف.

* **ومن الحجة لنا عليك فى أن الاستطاعة قبل الفعل، وأن أفعال العباد فى قولنا نحن، غير خلق الله، عز وجل، وأنه برئ من خلقها، وأنها فعلهم، هم تفرَّدوا بها، لا فعل ربُ العالمين، عز عن ذلك وتعالى.**

فنقول لك أيها **المجبر**، ولإخوانك **المجبرة**: خبرونا متى خلق اللهُ، عز وجل، الإسلامَ أقبلَ الرسل، أم بعد إرسال الرسل؟!

١- فإن قلتم: إن الله، جل ثناؤه، خلق الإسلام، قبل إرسال الرسل. لزمكم أن الاستطاعة قبل الفعل، ولزمكم أيضاً أن إرساله لأولهم، وهو آدم، عليه السلام، ١١٢ظ/ أن الصيام/ والصلاة والحج والعمرة والجهاد وجميع الفرائض، قد كانت معروفة موجودة محدودةً مخلوقة، قبل أن يرسلَ الله، عز وجل، بها آدم، عليه السلام!...

ثم يلزمكم أيضاً أن يقال لكم: خبرونا عن هذه الفرائض التى[1]، زعمتم، أنها مخلوقة قبل بعثة آدم، عليه السلام، كيف هى، وما هى، أفى أرض أم فى سماءٍ، وكيف صُوَرها؟.. وهل تدركُ ببصرٍ، أو تحس بسمعٍ، أو تنال بلمسٍ، أو تُذاق (بلسان) أو تشم باستنشاء؟

٢- فإن قلتم: إنها موجودةٌ فى الأوهام، من غير أن تدرك بالحواس.. قلنا لكم: فقد نراكم قد أوجدتمونا قديماً، موجوداً فى الأوهام آخر مع الله، عز وجل، ولايدرك بالحواس، ولايقاس بالناس، فيه الصفة التى وصفتم بها الواحد الذى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2]، وهذا كفرٌ بالله العظيم، وخروج من الاسلام، وإبطال الوحدانية، ودعوى[3] إلهين اثنين، صفتهما واحدة، لا فرق بينهما؛ لأنكم

---

(١) فى الأصل: الذى.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) فى الأصل: ودعوا.

ادَّعيتم شيئاً ليس له حدٌّ ، ولا غايةٌ تعرف ، ولا نهاية يوقف عليها ، ولا تدركها الحواس ، ولا تُعلمُ هذه الصفة إلا للواحد القديم الأزلي ، الذي ليس كمثله شئ، تبارك وتعالى .. فهذه حجةٌ لازمة لك ، ودامغةٌ لدعواكم ، ولا مخرج لكم منها .

٣- وإن قلتم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام ، بعدما ارسل الرسل . لزمكم ان الاستطاعة قبل الفعل ايضاً ، وان الله ، جل ثناؤه ، ارسلَ رسله يوم أرسلهم ، ليس معهم إسلامٌ يدعون الناس إليه ولا هدى (١) يوجبُ لهم الطاعة ، ولا تقومُ لله به على بريته حجة ، لانه ، زعمتم ، إنما خلق الإسلامَ بعد إرسال الرسل!!

فوجبَ عليكم أنه أرسل إلى الناس رسلاً غير مسلمين ، إذ لا إسلام معهم ؛ وإنما خلقه ، زعمتم ، بعد إرسالهم !..

وكفى بهذا كفراً وجهلاً من قائله ، وفيه خروجكم من دين الإسلام .

٤- وإن قلتم : خلق الله ، عز وجل ، الإسلام ، مع إرساله للرسل ، لا قبل ذلك ولا بَعْدَهُ، رجع عليكم القول الاول ، والمطالبة لكم من خصومكم ، بأنه لابُدَّ لكم ان توجدونا الإسلام الذى ادعيتم أنه خلق مع إرسال الرسل . بحدوده وشخصه ، ولمسه وذوقه ، وسمعه (٢) وصوته ، وحسه والنظر إلى صورته ، وإدراكه وإحاطة الأقطار به ، حتى يعرفَ ويوجد ، ويوقف على صورة ذلك الخلق إن كان خلقاً لله، عز وجل !

٥- وإن قلتم : إنه لايدرك إلا بالصفة لا غيرها . لزمكم انه واحد ليس كمثله شئ ؛ لأنه قد انتظمته صفة الله ، عز وجل ، الذى ليس كمثله شئ ، فى زعمكم ، لأن كل شئ خلقه الله ، عز وجل ، من الخردلة فما فوقها فى السموات والأرض ، لابدَّ له من سته حدودٍ ، تحوى كل مخلوقٍ خلقهُ الله ، عز وجل ، وهى القدام ١١٣ و/ والخلف./ واليمنة واليسرة والفوق والتحت ، فهذه الحدود لابُدَّ لها ان تحيط بكل مخلوق ، لأن الخالقَ ، عز وجل ، لا حدَّ له ولا قدام ولا خلف ولا يمنة ولا يسرة ولا فوق ولا تحت .

---

(١) فى الأصل : هدا .

(٢) فى الأصل : سمع .

فهذا الفرق بين الخالق ، عز وجل ، وبين المخلوق ، وما ليس له حَدٌّ يُدرك بالحواسِ، فليس هو خلقاً لله ، عز وجل .

وهذا اكبر دليلٍ على أن أفعال العباد غير مخلوقة ، لو كانت مخلوقة ، لكانت بائنةً ، بمعنى تحيط به الحدود والأقطار، دون فاعليها .. **وإنما أفعال بنى آدم حركاتهم، وفعلهم هم لا فعل الله ، عز وجل ، ولا خلقه .**

٦- وكذلك الكفر ، يلزمكم فى خلقه من الحجة ، مثل ما لزمكم فى خلق الإسلام ، سوى[1] أن ادعيتم أنه خلق قبل الكفار ، طالبناكم بتشخصه وحدِّه ولمسه ، ودركِ الحواس جميعا له .

فإن لم تأتوا على ذلك ببرهان ، لزمكم توحيده ، لما جعلتموه بصفة الواحد ، ولابُدٌ لكم من أحد هذه الثلاثة الوجوه ، التى ذكرنا لكم، ليس لها رابعٌ ، وليس لكم من واحد منه مخرجٌ .

فاعرف ما قلت ، **يا عبد الله بن يزيد البغدادى** ، لإخوانك من قولك لهم : أن ليسَ قولٌ اقرب الى **قول الزنادقة** ، زعمت ، من قولِ أهل ا لعدل، أن ليسَ أفعال العباد مخلوقة .

فأى القولين الآن أقرب الى الزندقة ، بل أيهما هو الزندقة ، بل أيها هو الشرك الأعظم ، الذى جعلتم الله ، عز وجل ، عن قولكم فيه ، شريكاً لكل مشرك ، أو فاعل فاحشة ، أو مرتكب لعظيم كفر ، فجاز على[2] حد قولكم ، قول أهل الأصنام ، وفات من جميع الأنام ، وأخرجكم من ربقة الإسلام ، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

قال الله ، عز وجل. : **﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾**[3] ، وقال : **﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾**[4]، أهذا عندك قول من أراد ان يكفر به ، أو قول من خلق الكذب والاستكبار وعذَّبَ عليه!! ..

---

(١) فى الأصل : سوا .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ١٠٥ .

(٤) سورة المؤمنون : الآيتان ٦٦ - ٦٧ .

ثم سمى نفسه عادلاً لا يظلم ! ثم قال : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [1]..

* وأما اعتلالك بقوله ، عز وجل ، ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[2] ، فقد أعملناك أن هذا خصوصٌ لا عموم، والدليل على ذلك ما يلزمك إلا قرار به، أحببت أو كرهت ، وهو قوله ، عز وجل ، ﴿ إِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[3].

١- فنقول لك : أخبرنا عن **الدهرية المعطلة** ، الذين زعموا أن ليس لهم خالق ، أليس هم شئ أم لا ؟!..

فإن قلت أنْ ليسَ هم بشئ .. أكذَبكَ جميعُ الخلق ، وخرجت من حدّ الكلام ، ودخلت فى العبث .

١١٣ظ/ وإن قلت : هم شئ .. قلنا : فهل / هم يسبحون الله ؟..

فإن قلت : نعم . بَانت فضحتُكَ ، وأكذبك جميع الخلق ، لأنهم معطلة ، يحجدون الخالق ، وهم الذين ذكر هم الله ، عز وجل ، فى كتابه حين قال : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) ﴾[4].

وإن أقررتَ أنهم ليس يسبحون الله ، جل ثناؤه .

قلنا لك : قد صدقتَ ، وفي صدقك هذا ، يلزمك أن ليس كل شئ يسبحُ الله ، عز وجل، وإنما عنى[5] بعضاً دون بعضٍ .

٢- وكذلك قوله : ﴿ خالق كل شئ ﴾[6]، إنما عنى ما خلقه ، جل وعز ، لا ما خلق العباد ، وفى هذا كفاية لمن عقل .

وإنما خلق الله ، جل وعز ، الأجسام والأعراض، لا غيرهما مما يعرف ، وليس له ، عز وجل ، خلق ثالث يعرف، إلا الأجسام والأعراض ، إلا ما قاله ، عز وجل :

---

(١) سورة التوبة : آية ٣ .

(٢) سورة الرعد ، آية ١٦ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

(٤) سورة الجاثية : آية ٢٤ .

(٥) فى الأصل : عنا .

(٦) سبق تخريجها قريباً .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ⑧ ﴾[1]، ولا يقوم عرض إلا فى جسم ، ولا جسم إلا فى عرض.

فإن قلت : إنِ الأعراضَ لاتُدركُ بالحواسِ ، ويلزمكم لنا فيها ، مثل ما لزمنا لكم فى خلق أفعال العباد .

قلنا لكم : فإن جوابنا لكم فى ذلك، أن الأعراض لاتُرى ولاتسمع ولاتدرك ، وليس أفعال العباد ترى ، أيضاً ، ولا تسمع ولاتدرك بصورة ينظر إليها، ولا جسم متجسم ، إلا أن يقول قائل : إن القتل يرى بمعنى غير حركة الآدمى ، أو أن الصلاة ترى بمعنى غير حركة الآدمى ، أوأن الزنا يدرك بمعنى غير حركة الآدمىّ **(أو شئ من جميع أفعال بنى آدم ، يقال فيه أنه يدرك أو يرى بمعنى اخر غير حركة الآدمى)** [2] .

فلا يوجدُ السبيلُ إلى ذلك أبداً ، إلا أنْ توجدونا شمسين فى وسط السماء .

٣- **والدليل لنا فى الأعراض** ، وكذلك الزنا ، ليس هو شئ يدرك ولا يحس، غير التقاء الفرجين ، وحركة الفاعلين يكون مع ذلك ، ولا يوجد خلق، كما افتريت، إلا أجسامهما ، فأجسامهما خلق الله ، عز وجل ، وكذلك الزكاة، ليس هى بشئٍ يُحسُّ ولا يدرك ، غير دفع الدنانير والدراهم والحبوب ، من يد رجل إلى رجل ، فاين خلق الزكاة؟!.. أوجدناه إن كنت صادقاً حتى نعرفه بصورته !! ولن تجد ذلك أبداً ، وكذلك الجهاد ليس هو شئ يُحسُّ ولايدرك ، إلا الرجل يضع السيف، ويرفعه ، ويرسل السهم ، ويمد الرمح ويصرفه .

فأين خلق الله ، عز وجل ، لقتل الأنبياء، وسفكه الدماء ، وفعله لجميع القبائح من الأشياء التى قلت فيه؛ هل هو إلا ما ذكرنا من حركات بنى آدم ، التى يرى الله، عز ١١٤ و/ وجل : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[3] ، وتلك الحركة فهى فرع الاستطاعة التى ركبها الله ، عز وجل ، فى خلقه ، وهى القوةُ التى وهبَ لهم [4] ، وفوضهم فيها ،

---

(١) سورة النحل : آية ٨ ..

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

(٤) فى الهامش شرح عبارة عما يلى : (...... لا يستعملوا تلك القوة التى وهب)

وجعلهم فيها مخيرين غيرمجبورين ، فى إمساكها ولا إرسالها، إلا فى جميع ما يرضيه ، والا يعملوا بها شيئا مما يسخطه ، واعد الجنة لمن اطاعه، واعد النار لمن عصاه ، وأرسل بذلك الرسل، وانزل به الكتب ، واعذر وانذر، وحذّر وكرر : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) ﴾[١] ، فمن ادعى[٢] بعد هذا شيئاً ، يريد به إسقاط الحجة عن الكفار والعصاه ، ويلزمُ الله ، عز وجل ، الظلم والجور ، فقد كفر بآيات القرآن ، وهو قوله ، عز وجل : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٣] ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾[٤] ، وقوله : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) ﴾[٥] ، وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٦] ، وقوله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾[٧] .

لم يـرد الله الكفر من الكفار:

وقلت انت أيها المجبر : إنه أراد الكفر من الكفار. وقد كررنا هذه الآيات ، لانها حجة الله ، عز وجل ، ولا حجة اقوى منها ، وقد وجدنا الله ، تبارك وتعالى ، وقد كرر القول فى غير موضع من كتابه، لتاكيد الحجة، والإبلاغ فى الموعظة ، وفى أقل مما قلنا كفاية، وانقطاع لكل مجبر على وجه الأرض ، والحمد لله رب العالمين .

٤- **ومن الحجة عليكم فى قولكم : إن الله ، عز وجل ، خلق الإسلام قبل إرسال الرسل .** أنه يزمكم انه قد كانت صلاة موجودة من غير مصلٍّ ، وزكاة موجودة من غير متزكٍ، وصيام موجود من غير صائم ، وحج موجود من غير حاج ، وعمرة موجودة من غير معتمر ، وجهاد من غير مجاهد ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر من غير

---

(١) سورة الانفال : الآية ٤٢ .

(٢) فى الأصل : ادعا .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢١٣ ، وكتبها الناسخ خطا هكذا (وما اختلفوا إلا من بعد ......) .

(٥) سورة التوبة : الآية ٧٠.

(٦) سورة الانفال : الآية ٥٣ .

(٧) سورة الإسراء : الآية ١٥

قائم بذلك ، وهذا هو الخروج من المعقول، وهو يبطل قولكم انه فعل من فاعلين ، بأوكد حجة وأوضح برهان . .

وإن قلتم : إن الله خلق الإسلامَ بعد إرسال الرسل . . لزمكم أن الاستطاعة موجودة قبل الفعل لابد من ذلك ، لأنه يلزمكم أن الرسل قد دعتكم إلى أمر قبل فعلكم له ، إذ ليس من شانها ، عليها السلام ، ولا فى عدل من خلقها ، تبارك وتعالى ، الدعاء إلى ما لا سبيل إلى دركه .

وإن قلتم : إن الله خلق الإسلامَ مع إرسال الرسل . . لزمكم أن توجدونا صورة الإسلام وحسه ودركه ، قبل أن يفعل . . .

فإن قلتم : إنه لايدرك إلا بالصفة . . لزمكم أنه إلهٌ موجود فيه ، مثل صفة الله ، ١١٤و/ تبارك وتعالى ، فلا خلاص لكم من هذه الثلاثة / الوجوه ، وفيها انقطاع قولكم ، وبيان جهلكم ، وفريتكم على خالقكم ، ومفارقتكم لكتابه صراحاً، وظلمكم لاهل العدل ، وكذبكم عليهم .

إلا ان ترجعوا وتتوبوا ، ويكون قولكم : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق افعال العباد، لا الصالح ولا الطالح ، وانه برئٌ من ذلك كله ، إلا ما أمر به ونهى [1] عنه ، وهو متعال عن خلق افعال العباد ، متنزه عن خلق الفواحش، وجميع الشرك والظلم والكفر ، وقتل الرسل وائمة الهدى ، وإن لا ، فالنا لا شك فيه ، لقوله ، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، وقوله : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾[3]، وقوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨) ﴾[4] ، وقوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا . . . ﴾[5].

أفلا تسمع إلى قولهم وإقرارهم ، أنهم الذين فرطوا ، وأنهم قد دعوا بالحسرة

---

(١) فى الأصل : ونها .

(٢) سورة الاعراف : الآية ٢٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٨ .

(٥) سورة الانعام : الآية ٣١ .

على ذلك التفريط ، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾[١]، ولم يقولوا كما قلت : يا حسرتنا على ما خلقَ اللهُ فينا من افعالنا ، وعلى ما اراد منا !!.

وقوله : ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾[٢]، فنقول لك : أخبرنا عمّن قَدّم لهم ذلك أهو المريد لكفرهم ؟!!

فإن قلت : لا .. رجعت عن قولك بالجبر .

وإن قلتَ: نعم، المقدم لعذابهم هو المريد لكفرهم .. لزمك أن خالَقكَ يدعو على نفسه بعذاب الناس، وهذا أعظم[٣] كفر قال به قائل! .. فالحمد لله المعز لدينه، والموضح لبراهينه، والناصر لأهل طاعته، والذابين عن كتابه، وهو القوى العزيز.

واعلم علماً يقيناً أنه لاحد لفعل بنى آدم يدرك ، إلا حدَ فاعله ، وليس هو بشئ بائن عن فاعله ، إنما هى الحركات الموجودة فيهم ، وهى فرع لاستطاعتهم ، والاستطاعة فعل الله ، عز وجل ، والتى عليها البنية والحركات ، فعلوها بإرادتهم واختيارهم، بعد الأمر والنهى من الخالقِ الحكيم.

ولو كانت أفعال العباد قائمة موجودة وحدها على الانفراد ، بائنة عن الأجسام، ثم وصفتها المجبرة، بصفة غير ما قلنا ، للزمها أن تُثبتْ لها الحدودَ والأقطار ، وإنْ لم تَجْدها، ونفت عنها الحدودَ على الانفراد ، لزمها أنها قد وجدْتَها ، كما وجدتْ الصانع القديم ، وهذا أبطل باطل يكون ، وفيه القطع لكل مجبر على وجه الأرض، إذ لا حجة تفسدُ ما قلنا ، ولا تقطعُ ما به احتججنا .

٥- والدليل على ذلك قوله ، عز وجل : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[٤] ، فإنما ذلك الإفك حركاتهم ، ولو كان الإفك شيئاً غير حركاتهم ، منفرداً عن حركاتهم ؛ لوجب ١١٥و/أنهم يخترعون عيون الأشياء، ويخرجونها من العدم الى الوجود، كفعل/ الواحد الحميد، فلايقدر على ذلك إلا الله الكبير المتعال ، الذى لايعجزه شئ وهوالولى الحميد .

---

(١) سورة الانعام : الآية ٣١ .
(٢) سورة ص : الآية ٦١ .
(٣) فى الأصل : من اعظم .
(٤) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

٦- ويلزمكم أيضاً فى قولكم ، أن قلتم : إنه ، عز وجل ، **خلق الإسلامَ مع إرسال الرسل**.. أن يقالَ لكم : إن الرسل متفاوتون فى البعثة ، وكلُ رسول منهم بينه وبين صاحبه، المدة الطويلة والسنون الكثيرة ، فلا يجوز لكم أن تقولوا : إنه خلق الإسلام إلامع إرسال الأول منهم ، ويبقى [1] من بقى بلا إسلام ، حتى خلق له إسلام جديد يكون معه !!..

فإن قلتم : إن خلْقَ الإسلام الأول يجْزئ من بقى .. قلنا : فقد وجدنا مع كل واحد منهم شريعةً ، تخالفُ الأخرى ، وأحكاماً تخالفُ الأحكام التى قبلها ، وهذا ينقضُ عليكم ما ادعيتم من خلق الإسلام الأول ؛ لأن مع كل نبى أمر غيرِ أمر صاحبه ، وشريعة غير شريعة صاحبه . فأين الخلق الذى ادعيتم من أن الإسلام مخلوق ؟!..

(فلا يجوز ما قلتم ، إنما الإسلام أمر ونهى، وشريعة واحكام ، تحدثُ بحدوث النوازل) [2]. فى كل عصرٍ وزمان، فالإسلام دين الله ، عز وجل ، وهو أمرٌ أمر، به لا خلقاً خلقَهُ ، والشرائع مختلفة لحكمةِ المتعبِّدِ لعبادهِ ، وتصريفهم من الأمر على ما أرادَهُ .

ولو كان الإسلام مخلوقاً ، لكانت شرائعهُ شيئاً واحداً ، لا تختلفُ ولا تنتقض عن الخلقةِ الأولى ، التى فُطرتْ عليها ، والحمد لله رب العالمين .

***

عودة إلى أصل قضية خلق أفعال العباد :

وإن أبيت إلا أن الله الذى خلق أفعالِ العباد ، قلنا لك : فإنه يلزمك أن توجدنا شركاً وكفراً ، وزناً وقولاً إن الله ثالثُ ثلاثة ، وانَّ له ولداً وصاحبةً ! .. عز عن ذلك، وكذلك [3] توجدنا قطع الطرق، وأخذ الأموال ، ونقب الحوانيت ، وغل الزكوات ، وقتل الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين .

---

(١) فى الأصل : يبقا .

(٢) زيادة بالهامش .

(٣) كررها الناسخ مرتان .

فتوجدنا ذلك كله مَنْ خلق الله له ، كيف خلقه ، فأين وجده العباد حتى اكتسبوه، كما قلت،.. وأين هو ، وهل تراه الاعيان ، او هل تسمعه الآذان ، او تدركه العقول منفرداً ، وهل تدركهُ الارجل، وهل يدرك بالذوق او الشم ، وهل تحويه الفكر ، وهل تقع عليه الخواطر ، وهل تحويه الاقطار منفرداً ، كما تحوى سائر الاشياء المحوية الموجودة ، حتى يصحُّ لك، وتتبين حجتك فيه ونعلم ، نحن واصحابك ، أنك صادق فى دعواك ، ان الله خلق الشرك والكفر وجميع المعاصى ، فيصح ذلك ، لنا ولك ولجميع الناس ، كما صَحَّ الحديد ، الذى قلت ، الذى فيه عُملتْ الدروعْ ، والشجر الذى حدثَ فيه القطن ، فعملت فيه الثياب ، والخشب الذى عملت منه السفن ، كما قلت ؟.. صح لك ، لعمرى . وهذا حق ان الحديد ١١٥ظ/ الذى عملت منه/ الدروع، وشجر القطن، وخشب السفن، والأكنان فى الجبال ، كل ذلك موجودٌ ، وعَمل منه الناس جميعَ الصناعات التى (عملها) [١] بنو آدم ، وإنما عملوها من اشياء وجدوا الله ، عز وجل ، قد سبق إلى خلقها وإحداثها ، وافتطارها من قبلهم ، فأخرجها من العدم إلى الوجود ، لم يشاركه فى خلقها احد ، ولم يسبقه إليها صانع ، فعمل الناس منها جميع ما عملوا من الصناعات، التى لا تقوم الدنيا ولا تعمر إلا بها وبعملهم لها ، وذلك من الدلائل العظام على التوحيد ، ان احداً لا يحدث جسماً ، ولا يخترع صنع شئ من جميع الأشياء المجسمة ، ولا يقدرُ على إحداث ذلك كله ، إلا الله القوى العزيز .

فمن صُنعه وَخلقه وفطرته واختراعه عملوا ، ولولا ما وجدوا من ذلك ، ما قدروا على شئ يعملون منه مصالحهم ، لان هذه الاشياء، مشاهدة مرئية موجودة ، تدرك لا شك فيها ، من درك الحس، من الشَم والذوق والسمع والبصر .

وأما الشرك الذى ذكرت ، أنت وإخوانك المجبرة ، وجميع المعاصى الذى ادعيتم أن الله ، عز وجل ، خلقها أخرجها من العدم الى الوجود ، فيلزمكم لنا أن تأتوا عليها بدليل وبرهان، اضوى وأوضح من نور الشمس الطالعة ، حتى يتبينَ للناسِ صدقكم ، ولن تجدوا ذلك أبداً ، ولن تقدروا عليه .

---

(١) بياض فى الأصل .

لأن المعنى الذى ذهبتم إليه ، فسميتموه خلقاً لله ، عز وجل عما قلتم ، إنه حركات العباد، التى يتحركون بها بالقوة التى فيهم ، والله ، عز وجل ، وإنما خلق الاستطاعة، وهى القوة المركبة فى بنى آدم ، وهم فيها مخيرون، إن شاءوا تحركوا بها، وإن شاءوا لم يتحركوا ، فالاستطاعة من الله ، عز وجل ، موهوبة منّة ونعمَة، والحركات ليست من الله ، عز وجل ، وإنما هى فعلهم هم ، لا فعل الله ، عز وجل، وشاهد ذلك القوى الواضح من كتاب الله ، عز وجل ، قوله : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) ﴾[1] ، فلو كان الله ، عز وجل، وهو خالق لنظرهم الى المحارم ، والخالق لحركاتهم فى الفروج، التى يتحرك بها الأدميون ، لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل ، أن يقول للمؤمنين يغضوا أبصارهم، ويحفظوا فروجهم !..

وإنما نهاهم ، عز وجل ، عن أمرٍ هو إليهم ما يكون له ، إن شاءوا فعلوه ، وإن شاءوا لم يفعلوا.

وقوله ، عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) ﴾[2]، ولو كان الله ، عز ١١٦ و/ وجل، خلق حركاتهم بالأصوات لم ينههم عن خلقه ، وإنما نهاهم.

عز وجل، عما يعلم أنهم يقدرون على تركه ، والله ، عز وجل ، فلم يخلق حركات العباد، وهى الزنا الذى تحركوا له ، والقتل الذى تحركوا له. والشرك الذى تحركوا له، وحركوا فيه السنتهم وأيديهم ، وقالوه بأفواههم وأهوائهم ، كذلك جميع الظلم والفواحش التى حركوا فيها جوارحهم وحواسهم ، وقد حظر الله ، عز وجل ، عليهم أن يستعملوا تلك الحركات إلا فى الطاعات ، والكف عن المحرمات .

فعصى [3] من عصى ، فوجبت له النار ، وأطاع من أطاع ، فوجبت له الجنة ، ليس جبراً ولا إكراهاً ولا خلق فعل .

والله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع أفعالهم ، ولو خلقها ، لكان شريكاً

---

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) سورة الحجرات :الآية ٢ .

(٣) فى الأصل : عصا

لهم، إذا كان لهم فى شئ من أفعالهم ، قل أو كثر ، شريكاً ، لم يكن إلهاً ، ولزمه من الجور والظلم ، والخروج من الحكمة والعدل ، فى عذاب من خلق فعله ، ما يلزم الجائرين .

ودليل ذلك أن نقول لك : هل يعذب الله ، عز وجل ، داود عليه السلام ، فى عمل الدروع ، التى قلت ، أو يعتب ذلك عليه ، وهل سمعته قال : لمَ فعلت، ولمَ عملت الدروع ؟!! .. وإنما أخبره أنه علَّمهُ صنعةَ الدروع ، ولم يخبرنا أنه هو الذى خلق الدروع .

وكذلك آدم ، ﷺ ، لم يعذبه الله ، عز وجل ، فى حَوْكِ الشياب ، ولا الحرث ، ولا فيما عمل من الصناعات ، ولا قال لنوح ، ﷺ ، قول تعنيف فى عمل السفينة ، ولا عذبه على عملها ولا سمعته فى شئ من كتابه ، قال لمؤمنٍ ولا لكافر: لم عملتم الدروع ، ولم عملتم الأكنان فى الجبال ، ولم عملتم الآلات ، إلا أن يعملوها لباطل ، أو معصية لله ، وجل ثناؤه ، فهناك يقع التعنيف ، ويجب العذاب .

وإنما قال لهم ، عز وجل ، لم كذبتم رسلى ، وأعرضتم عن كتبى ، وألحدتم فى صفتى ، وشبهتمونى بالجائرين ، وقتلتم أنبيائى ، والأئمة من خلفائى ، والمؤمنين من أصفيائى ، ولم كفرتم بى، وعبدتم غيرى، وخالفتم أمرى ونهى ؟!!! ..

فهذا يوجبُ أن ليس لأجل خلقه لما خلق، يُعذبُ عباده ، إنما يُعذِّبهم لما خلقوه هم، وأتوه عامدين ، بأهوائهم وإرادتهم وحركاتهم .

فهذا جوابنا لك على دعواك فى خلق الكفر . الذى زعمت أن الله ، عز وجل ، خلقه وأراده ، وهذا ما لا مخرج لك فيه ، لأنا سألناك أنْ توجدنا شركاً وكفراً
١١٦ظ/ وظلماً وفواحش مخلوقةً منها . أخذ العباد (منها) [1] ما عملوا ، ومنها اكتسبوا ما به كفروا ، كما أوجدتنا الحديد والقطن والخشب، والأشياء المخلوقة الموجودة، التى احتججت بها علينا فى مسألتك هذه ، ولن تجد شركاً ولا كفراً ولا فسقاً ولا فواحش ، أخذ منها العباد ما عملوا ، ولا منها ما اكتسبوا ما به أحدثوا!

(١) ليست فى الأصل .

فلا سبيل لك إلى وجود ذلك أبداً ، حتى تناول النجوم من أعنان السماء بكفكَ!.. ولن يكون ذلك أبداً ، وفى هذا بطلان قولك ، ولزوم حجتنا لنا ، ووجوب النار عليك، إلا أن ترجع ، وتتوب عما قلت أنت ، ومن تبعك ، والحمد لله رب العالمين.

***

نقض المجبرة فى أن خلق الله ، غير خلق عباده فى الكفر والإيمان :

وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، الذى خلق الكفر والإيمان ، على وجه غير ما خلقه العباد، (فإن)[١] العباد، زعمت، يزنون ويسرقون، وهذا، زعمت، لايجوز على الله..

ولا نعلم أحداً أجترأ على ما اجترأت عليه ، من هذا القول الفاحش ، الذى استخرجته من عقلك ، فنقول لك : أيها المغرور ، الأعمى فى دينه ، والجاهل بربّه ، فقل أيضاً : **إنه قد يجوزُ أن يرى على غير وجه الحقيقة من المعاينة ، غير نظر الأعيان** ، ويسمع ، على غير وجه من حقيقة السمع ، غير سمع الآذان ، وأنه شاهد الخليقة بالحواس من حقيقة المشاهدة والحس المحسوس ، الذى يعقل من غير حسٍ ، ولا مشاهدة!.. وكل هذا لا يجوز ، كما استحال ما قلت .

وأخبرنا ما الفرق بين قولك هذا ، الذى ضاهيت فيه قول النسطورية [٢]، من النصارى ، وبين قولهم ، إذ زعمت النسطورية أن عيسى ، ﷺ ، ابن لله على معنى زعموا غير معنى الولادة!!

فنقول لك : هل يلزم النسطورية بهذا القول، كفرٌ أم لا ؟..

فإن قلت : إنه يلزمهم الكفر بهذا القول .

لزمك مثله ؛ لأنك زعمت أن لله، عز وجل ، فعل الزنا والسرقة على وجه غير ما فعله العباد .. وأنه قلت : إنه لايلزم النسطورية، بهذا القول، كفرٌ .. خرجت من قول أهل الصلاة، وفارقت أهل الإسلام .

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) **النسطورية** : فرقة من النصارى

وإن قلت : إنه يلزمهم بهذا القول الكفر[1] .. لزمك مثله ، سواء ؛ لأنهم جاءوا بكلام محال، وجذ بكلام محال مثله ، لا فرق بينهما فى وجه من الوجوه ، وقد (قال) على بن الحسين[2]، رحمة الله عليه : «ليست فى محال القول حجة، ولا فى المسألة عنه جواب» .

فقد أعظمت الفرية، بقولك هذا على خالقك، فلا يبعد الله إلا من ظلم. ١١٧ و/ وكيف لا يلزم خالق الزنا والسرقة وجميع المعاصى / عيب ما خلق، وكيف لايفسد قوله؟!.. فتبارك الله أحسن الخالقين .

فإن قلت : إنه لا يلزمه عيب ما خلق .. قلنا : وكذلك يلزمك أنه[3] يلحقه حمد ما خلق.

فإن قلت ذلك ، خرجت من الإسلام ، ومن قوله : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) ﴾[4]، وكيف ما قلت ، لزمك فيه الكلام ، حتى ترجع إلى الحق، فتقول : إن الله ، عز وجل ، لم يخلق شيئاً من جميع ما افتريته عليه ، فنفلجك.

فى حقيقة العقول :

ثم نسألك فنقول لك : **هل العقول المركبة فينا، تدلنا على غير الحق إنه حق ، وعلى غير الباطل أنه باطل ؟!!.**

فإن قلت : نعم ، إن الأشياء تخالف العقول ، وإن العقول لا تميز الحسن من القبيح، ولا الحق من الباطل .. خرجت من حد من يكلم ، واكذبك جميع الخلق ؛ لأنه يلزمك. إن قلت بهذا. أن العقول لاتميز الليل من النهار ، ولا القحط من الإمطار. ولا الظلمة من الأنوار ، ولا السوام[5] من الأشجار. ولا غير ذلك مما تحوى الأقطار .

---

(١) كرر العبارة لتكرار اللزوم .

(٢) **على بن الحسين بن على بن أبى طالب** ، ابو الحسن ، الملقب بزين العابدين ، واحد الائمة الإثنى عشر عند **الإمامية** ، واحد من كان يضرب بهم المثل فى الحلم والورع والجود والسخا، ولد سنة ٣٨ هـ وتوفى سنة ٩٤هـ فى **خلافة عبد الملك بن مروان** .

(٣) ليست فى الأصل.

(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

(٥) أى الرعى منها .

وإن قلت: لايجوزُ ذلك، أن تستحيلَ الأشياء فى العقول، وتقلب على غير وجوهها[1] حتى لا تميزها العقول، لزمك أن الذى قلت باطل وكفر، من أنه يخلق الزنا، على معنى غير الزنا، والسرقة، على معنى غير السرقة، وفى هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

الفرق بين الأسماء الحسنى والقبيحة خلقاً:

ثم نقول لك: أليس تقر لنا أن لله[2]، عز وجل، الأسماءَ الحسنى؟..

فإن قلت: نعم.. قلنا لك: أفليس افترض الله، عز وجل، ان تدعوه بأسمائه الحسنى حيث قال: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾[3]؟!..

فإذا قلت: نعم.. قلنا لك: فهل يجوز لنا ولك، أن ندعوا الله، عز وجل، فنقول له: ياخالق الكفر والشرك والزنا واللواط والأشعار والغناء، وجميع المعاصى، اغفر لنا؟!!..

فإن قلت: نعم، ذلك جائز أن يُدعا به.. قلنا: فما الفرق بين الأسماء الحسنى، والأسماء القبيحة، حتى نعرف بعضها من بعض؟!..

فإن قلت: إن هذه الأسماءَ التى ذكرنا حَسَنةٌ جميلة، لا عيب فى الدعاء بها.. لزمك أن الزنا والشرك والكفر وجميع الفواحش والمعاصى، كل ذلك، حسنٌ جميل لا عيب فيه، ولا عيب على من دعا[4] الله، عز وجل، به، وسماه خالقاً له.

وإن قلت: إن هذا الدعاء لا يليقُ بالله، جل ثناؤه عما قلتم، وأنه لا يجوز أن يُدعا به، لقبحه وشناعته، وكذب من دعا به.

لزمك أن حجتك علينا فيه كاذبةٌ باطلة فاضحة، وأنك مبطلٌ فى قولك: إن الكفر والمعاصى كلها خلق الله، عز وجل عما قلت، وافتريت أنت، ومن تبعك على مقالتك. وكفى[6] بهذا كفراً، وصدوداً عن القرآن، أن يضافَ الى الله، جل ثناؤه،

---

(١) فى الأصل: ايضا وجهها.
(٢) فى الأصل: الله.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.
(٤) فى الأصل: دعى.
(٥) فى الأصل: وكفا.

ما برئ منه ، وعنف فيه إبليس وجنوده ، وأوجب لهم على إتيانه، النار التى لا تطفئ . ١٧٧ظ / فبعداً للقوم الظالمين!! / .

وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، خلق الأسماء كلها .. فالرد عليك أنا نقول لك : أخبرنا عن اسم «محمد» ، صلى الله عليه ، هل هو المعنى [١] فى خلق الله ، عز وجل ، له ، ولِما قالت قريش من تسميها ، النبى ﷺ ، أنه مُذَمٌّ ؟!!.

فالله، عز وجل ، قد سمَّاه محمداً وأحمداً وسمَّته قريش مُذَمَّماً. فقال ، صلى الله عليه ، : «ألا ترون نصر الله لى على قريش، حين سَمَّوْنى . مذمماً ، وأنا محمد» [٢] .

فنقول لك : إذا كان الله ، عز وجل ، وهو الذى خلق اسم محمد ، وخلق اسم مذمم، أىُّ عيب على قريش فى قولها لمحمد ، عليه السلام ، أنه مذمم ، كلاهما خلق الله ، عز وجل ؟!!.

زعمتم – وجدَ المسلمون الله ، زعمتم ، قد سماه محمداً ، فسمُّوه بذلك ، ووجد المشركون الله ، عز وجل ، قد سماه مذمماً فسموه بذلك ، فماذا عليهم ، والله الخالق للاسمين، والفاعل للقولين ، والمريد للمعنيين ؟!!.

فإنكم تنقطعون ها هنا ، ولا تجدون حجة تدفعوننا بها ، إلا أن تجسروا ، فتزعموا أن الله ، عز وجل ، هو الذى سمى [٣] رسوله ، ﷺ ، مذمَّما!..

فيبين جهلكم وكفركم، لجميع من صلى القبلة ، وكفى بهذا [٤] جهلاً وخروجاً من الحق .

* ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى ، ثم سلهم عن الأصنام من خلقها ، وجعلها أصناماً؟..

---

(١) فى الأصل : المعنا .

(٢) الحديث : عن أبى هريرة ، رضي الله عنه ، فى : البخارى، ٤ / ١٨٥ – ١٨٦ (كتاب المناقب ، باب ما جاء فى أسماء رسول الله ، ﷺ)، وأوله : «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش . الحديث وهو . فى : النسائى (بشرح السيوطى) ٦ / ١٢٩ ، ١٣٠ (كتاب الطلاق ، باب الإبانة والإفصاح..) ؛ والمسند، ١٣ / ٥٠ ط. دار المعارف.

(٣) فى الأصل: سما .

(٤) فى الأصل : وكفا بهذى .

رد احمد بن يحيى :

الجواب قال **أحمد بن يحيى** – صلوات الله عليه – نحن نقول لك هل : خلقها أصناماً وأوثاناً وانصاباً ، فسمَّاها بذلك الاسم ، وكان ذلك الاسم يُدْعى «بُددُ» وتعرفُ به قبل أن يعبدها من نحتها ، وجعلها صوراً من المشركين ، فى الزمان الأول ، وفي زمان **منداد بن إسماعيل** [1] ؟!!.

فإن قلت : إن ذلك كان اسمُ الحجارة ، تعرفُ فى العرب ، قبل ابتداع من ابتدعها ، وعبادة من عبدها ، اكذبك جميع الخلق ، وشهدوا على بطلان قولك .

لأنها لم (تزل) [2] تشاء تُعرفُ بأن اسمها حجارة ، وصخر وصفوان وصفا [3] ، وغير ذلك من الأسماء ، فلما نحتها الكفار بأيديهم ، وصوّرُوها بحركاتهم ، وسموها أصناماً وأوثاناً ، وسموها بالأسماء المحدثة منها اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، وإساف ونائلة ، ويغوث ويعوق ونسراً ، وغير ذلك ، وهى التى ذكرها اللهُ ، عز وجل ، فى كتابه ، وعنّفهم على اتخاذها وتسميتها ، مما دَلَّ على براءته من خلق ماخلقوا فيها ، من التقدير والتصوير والخرط والنحت ، فقال : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ** ١٨٨و / **الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا / قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾** ﴾ [4].

كأنك ، يا لك الويل ، لم تسمعْ هذا القول فى كتاب الله قط ، ولم يخطر لك على بال ، حين زعمت أن الله ، عز وجل ، خلق الأصنام ، وذهبت بجهلك إلى قوله : ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾** ﴾[5]، **وإنما عنى بهذه الآية، أنه خلق الحجارة وجميع الأشياء، التى عملت منها الأصنام ، إذ لا خالق للأصل غيره ، وإنما وقع العيب والتعنيف عليهم، فى نحتها وتقديرها وتصويرها، وعبادتها لا غير ذلك .**

---

(١) يقال إن أول من ادخل عبادة الأصنام على العرب هو عمرو بن لحى بن غالوثة بن عمرو بن عامر .

(٢) زايدة فى الهامش .

(٣) الحجارة الملساء .

(٤) سورة النجم : الآيات ١٩ – ٢٣ .

(٥) سورة الصافات : الآية ٩٦ .

وقوله : ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً (٢٤) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾[1] . فلم يَجِدوا لهم من دون الله أنصاراً ؟!.. أفلا تسمع أيها المغرور إلى قوله ، عز وجل : ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾[2] ، ولم يقل إنهم أدخلوا النار بخلقه لفعلهم !..

فسبحان الله العظيم ، ما أجهلك وأجهل من أصغى[3] إلى قولك ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾[4]، ﴿ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) ﴾[5]، فاسمع الى تفسير الفرية ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى خلق الفرية ، كما زعمت ، للزمه انه قد خاب ، عز وتعالى عن ذلك ، لقوله : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ (٦١) ﴾؛ لأن من خلق الفرى فهو خائب ، ومن خلق الكذب فهو كاذب.

وكذلك قال ، عز وجل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾[6] ، فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى دساها ، للزمه أنه شتم نفسه بنفسه ، وخيَّبها ، حيث قال : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾، ولا تدسية أعظم من الكفر!..

وقد زعمت أنه أراد منهم الكفر وخلَقهُ ، وخلْقُه ، زعمت ، فعله وصنعُهُ ، فيلزمك فى هذه الآية أنه دساهم بالكفر ، وأنه يلزمه أنه قد خاب من دساها ، وبالله لو لم يكن لنا فى القرآن غير هذه الآية ، لكانت كافية قاطعة لكل مجبر على وجه الأرض ، ألا لعنة الله على الظالمين .

***

فى القدرة والمشيئة وتعلقها بالعلم :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن وجه ما وضعوا ، مما أخطؤا فيه تأويل قدرة الله، عز وجل .

---

(١) سورة نوح الآيات ٢٣ – ٢٥ .

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) فى الأصل : أصغا .

(٤) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧ .

(٥) سورة طه : آية ٦١ .

(٦) سورة الشمس : الآيات ٧ – ١٠ .

فإنهم عابوا علينا أنْ قلنا : إن كل شئ أخبرنا الله به أنه، لا يكون أو يكون ، فإنه لا يجوز على الله ، عز وجل ، أن يقول إنه إنْ شاء كان على وجه إن شاء ، فإن ما يجهل وما لا يعلمه ، لإنا متى قلنا ذلك ، قلنا : لا ندرى لعل الله إن شاء قال ١١٨ظ/ الباطل.. تعالى الله ربنا وتبارك ، لقد حملنا أهل البدع على أن تكلمنا بكل قبيح ما / ما يدخل عليهم فى كلامهم ، مع أن الله، تبارك وتعالى ، قد وصفه بعض الكفار ، فقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[1] .

فوصف كذبكم ، ولولا ذلك ما وصفنا كذبهم ؛ لأنَّ متى قلنا : إن القيامة إن شاء الله لم يقمها . قلنا : إن الله كذب ، وإن قلنا : إن الله إن شاء لم يفعل ، قلنا : إن شاء الله أخلف الميعاد ، ولا يجوز على الله هذا ، إلا أن يشاء أن يكون غير ما عُلم أنه يكون!.. ولا يشاء أن يخلف وعده ، ولا يشاء أنْ يتخذ الولد، ولا يشاء أن يتخذ معه إلهاً ، تبارك وتعالى ، ولايجوز على الله هذا الكلام فى قول العدل ، إنما يشاء أنْ يكون ماعلم أنه يكون، ولا يشاء أنْ ينقص ملكه ، ولا يشاء أن يغيرَ صفته ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

***

رد أحمد :

الجواب قال أحمد (بن)[2] يحيى ، صلوات الله عليه : زعمت أنَّا وضعنا خطأ ، أخطأنا فيه تأويل قدرة الله ، عز وجل، منه أنه لايكون أو يكون .

فإنه لا يجوز على الله ، عز وجل ، أن نقول : إنه إن شاء كان ، على وجه أنه إن شاء كان ما يجهلُ وما يعلم ! .

١- وقد فهمنا هذا القول من أوله إلى آخره ، فأجزأنا ذلك عن إعادة قولك ، لأنك إنما مَدارُكَ على الفرية على الله ، عز وجل ، وعلى إبطال كتابه ، وعلى إبطال أمره لخلقه بالإيمان، والرجوع عن الخطأ، والتوبة عن الكفر والظلم ، واجتهادك فى دعاء

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٦٤ .

(٢) فى الأصل : أحمد يحيى .

الكفار إلى أنه لا يعلم الله، عز وجل ، منهم الكفر ، وأن يَدعوا الكفر والشرك ، ويرجعوا إلى الإيمان والهدى والطاعة ، وانك إنما تريدُ فى قولك : إنَّ من علم الله منه الكفر ، أنه ليس له حيلة فى الرجوع إلى الإيمان بوجه من الوجوه ، زعمت ، لأنَّ ذلك العلم الذى علمه الله ، عز وجل ، عندك ، هو الحائل بينهم وبين الإيمان!.. زعمت .

حقيقة فهم المجبرة للعلم الإلهى :

* وهذا كفرٌ غلطت فيه ، وخالفت القرآن ، وجهلت كيف العمل به ، ولم يبلغه عقلك ، وذلك أنَّ المجبرة أنزلو العلم بمنزلة الشئ المانع الدافع لهم ، الحائل بينهم وبين طاعة الله ، عز وجل ، فالتوبة عن خطايهم [1] ، وتركهم قوله ، جل ثناؤه ، بعد ما علم أن القاسطين يكونون لجنهم حطباً .

فاخبر ، تبارك وتعالى، ان علمه ليس هو المانع ، ولا حائل دون الاستقامة على طريق الهدى ، وأنهم إنما هلكوا وصاروا حطباً لجهنم ، باختيارهم ، واتباع أهوائهم ، لا يعلمه ، عز وجل ، الذى قلت : إنه حال بينهم وبين الطاعة ، فقال ، ١٩٩ و / جل ثناؤه : ﴿ **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ / فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾** ﴾ [1] ، وقد أعلمناك ، ان تاويل الفتنة فى القرآن يُخرجُ على عشرة وجوه فى كتاب الله ، والله ، عز وجل ، لا يفتن المستقيمين ولا يضل المطيعين ، لانه ، عز وجل ، إنما اخبرنا أنهم لو استقاموا على الطريقة ، لاحسن إليهم وأسكنهم جنَّته، ولم يخبرنا أنهم إن استقاموا فَتنهم على جهة ما ذهبتم إليه من الإغواء . الا ترى أنهم لو استقاموا على الطريقة ، لم يعلم منهم الكفر ، الذى صيَّرهم به حطباً لجهنم ، وأنهم لو أرادوا الهدى [2] لم يعلم الله ، عز وجل ، منهم الكفر، والشاهد على ذلك لنا أن الله ، عز وجل ، إنما افترض

---

(١) سورة الجن : الآيات ١٥ – ١٨ .

(٢) فى الأصل : الهدا .

على الخلقِ الخروج من الكفر ، ولم يفترض عليهم الخروج من العلم ؛ ولو كان الأمر (كما) ذهبتْ إليه عقولكم الصداة [1] ، لم يجز للحكم العادل ، الذى لا يظلمُ، ان يقول : ﴿ فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ ﴾[2]، ويقول: ﴿ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤ ﴾[4].

وليس فى القرآن من أوله الى أخره، آية واحدة تشهد لكم على أن علم الله ، عز وجل ، هو الذى منع الناس عن الإيمان ، وحال بينهم وبين الطاعة، ولا حملهم على الكفر ، فإنْ وجدتم آية واحدة تشهد لكم بذلك ، فالقول قولكم.

أو وجدتم آية توجبُ انَّ الله ، عز وجل ، قال لأحد من خلقه الاولين او الآخرين : ادخلو النار بما علمت منكم ، وادخلوا الجنة بما علمت منكم !.. لانه ، جل وعز، إنما يعاقب وثيبُ على الأعمال، لا على علمه بالأعمال .

وقد اجبناك فى العلم ، فى أول كتابنا هذا ، بما فيه الكفاية ، إلا انك تكرر مسائلك [5] فلا نجد بُداً من ان نكررَ ما قد انقضى [6] فيه الجواب ، لئلا تعتلق علينا بحجة ، أو تقول قد تركوا بعض مسائلى .

هل يشاء الله أن يفعل ما لا يجوز؟!

٢- وأما قولك : إن الله ، عز وجل ، لو شاء لفعل ما لا يجوز فعله ، من ان لا تكون القيامة [7]، وان يتخذ الولد ، وان يخلف الوعد ، وان يبدل القول !!..

فهذا كله قولكم انتم ، وهو لازم لكم ، وليس أهل العدل والتوحيد يقولون هذا

---

(١) فى الاصل : الصداه .

(٢) سورة الانشقاق : الآية ٢٠ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٧٤ .

(٤) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٥) فى الاصل : مسالك .

(٦) فى الاصل : نقضا .

(٧) فى الاصل : القيمة .

القول، هم أعرف بتوحيد الله ، سبحانه ، وأقومُ بعدله من أن يقال لهم هذا القول، وينسبَ إليهم، بل هذه صفتكم أنتم ، وصفة إخوانكم الأشقياء المجبرة الجهلاء .

٣- **وأما قولك : إن أهل البدع حملوك على أن تكلم بما لا تريدُ** ، ونحن نقول ، على أهل البدع لعنة الله (و) لعنة اللاعنين ، وكيف يكون أهل البدع من قام بالقرآن، وعرف تأويله وتنزيله، ومحكمه ومتشابهه ، وأخذ الحق من معادنه، ١٩٩ظ / الذين قال الله ، عز وجل ، : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴿٤٣﴾ ﴾[١]. وقوله : ﴿ **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾[٢]؟!!!..

ثم نقول : أنت أعرف بعدل الله أم موسى ، صلى الله عليه ؟!!.

فإن قلت: إنك أعرف من موسى. كفرت .

وإن قلت : إن موسى ، صلى الله عليه ، أقوم بعدل الله منك ، وأعرف بدينه.

فما تقول في موسى ، صلى الله عليه ، لما قتل القبطي : ﴿ **قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين** ﴿١٥﴾ ﴾[٣]، ولم يقل : هذا من قضاء الله ، عز وجل ، وإرادته.

يجبُ في هذا القول أنك أعلم من موسى ، ﷺ، وأقوم بعدل الله ، عز وجل ، وكذلك قال الله ، عز وجل ، لمحمد ، صلى الله عليه : ﴿ **قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي** ﴾[٤]، وقال يعقوب ، صلى الله عليه ، ﴿ **بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴿١٨﴾ ﴾[٥]، أولا ترى أن الله ، عز وجل ، قد نفى عن الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، ما ألزمته وأن ليس واحد منهم أضاف ذنبه إلى خالقه ، كما أضفتَ .

---

(١) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٣) سورة القصص : الآية ١٥ .

(٤) سورة سبأ : الآية ٥٠ .

(٥) سورة يوسف : الآية ١٨ .

٤- وأما قولك أنا أخطأنا فى صفة قدرة الله .. وليس القول كما قلتَ ، ولكنا نقول : إن الله عز وجل ، قد صدق فى قوله : ﴿ ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[١] ، وقوله : ﴿ ولَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾[٢] ، وما أشبه هذه الآيات فى القرآن .

فان كان ذلك إنما دلنا به على إثبات قدرته ، وأنه لو شاء لحال بين الكفار وبين الكفر، حتى[٣] لايقدرون على فعله بالجبر منه لهم والقهر ، ولو شاء الله لهدى الناسَ جميعاً ، أى جبراً وقسراً ولا يرسل إليهم الرسل ، ولاينزل عليهم الكتب ، ولكن لم يكن ذلك من حكمته ، وإنما أخبرنا بقدرته على ذلك ، وأنه لا يفعله ، حتى يروا أنهم إنما فعلوا ما فعلوا من المعاصى ، عن غير غلبة له ، عز وجل ، ولا ضعفٍ كان منه عنهم .

فأما قوله : ﴿ ولَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) ﴾[٤] فإن المجبرة يتعقلون بهذه الآية ولايقرأون ما بعدها ، وهو قوله ، عز وجل ، : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) ﴾[٥] .

فصح أنه بما كسبوا لا يفعل الله ، عز وجل ، ولا بإرادته لمعصيتهم ، مع أن هذه الآية إنما حكمها من أحكام الآخرة ، وليست من أحكام الدنيا ؛ الا ترى كيف قال ، عز وجل ، وعنى أن المخاطبة فى الآخرة لا فى الدنيا : ﴿ ولَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ولَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) ﴾، يعنى ممن عصى[٦] فى الدنيا وخالف أمره . ثم قال بعد هذا ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾.

١٢٠ و/ فصح أنه فى الآخرة / تكون هذه المخاطبة، والعدل فى الآية قائم بنفسه، لاجبر فيه ولا قسر، ولا مخرج لملحد مجبر ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الانعام : الآية ١١٢ .
(٢) سورة السجدة : الآية ١٣ .
(٣) فى الأصل : حيا .
(٤) فى الأصل : يقرون .
(٥) سورة السجدة : الآية ١٤ .
(٦) فى الأصل : عصا

٥- وأما قولك : إنه يلزمنا أنا نقول : إن الله ، عز وجل ، لو شاء لم يكن ربّاً ، وأنه لو شاء لظهر للناس ، وما قد ذهبتَ به فى هذا الموضع من الخطأ والتخليط .

فأهل العدل أعلم بالله ، عز وجل ، وبتوحيده الذى أنت به جاهل ، فلن يقولوا مثل ما قلت . وإنما يجبُ عليك ، لو استعملت الأدب والحكمة ، أن تخاطبنا بما قلنا

فأما ما ليس هو من قولنا، فلم تكرِّره وتذكر فيه الكلام ، ولكنْ وجدتَ جهالاً لا يميزون عليك قولك ، وقلدوك أمر دينهم ، فأهلكتهم، فلا يبعد الله إلا من ظلم .

وهيهات شرفُ الحق وعظم قدره ، وقدر أهله ، من أن تَخطَّفه أيدى الباطل ، أو تفتاتوا على أهله بحجة .

فاربعْ على ظلعك ، وقس بشرك بفترك [1] ، واخرج مما قلنا ، وافهم ما به أجبنا ، وارع من استطعت من أهل الجبر ، فإنكم لا تقومون بحجةٍ واحدة من هذا الكتاب، ولا تقدرون لها على دفع ولا نقض ، بحول الله وقوته .

وهذا قول مُدلٍّ بفلجه ، لأن دين الله ، عز وجل ، لا تقوم له الجبال ، وما كان من الله ، عز وجل ، فلن يغلبَ أبداً ، وغيره دين الشيطان ، ودينُ الشيطان إلى البوارِ والدمار والدبار والخسران ، فلايقوم الباطل للحق أبداً .

وسألتِ عن أم موسى ، صلى الله عليه ، وعن فرعون ، لعنة الله ، وقد أعْدتَ هذه المسأله ، وقد مضى جوابنا لك فى هذا الكتاب بما فيه الكفاية .

وذكرت الاستطاعة فى قتل موسى ، صلى الله عليه ، وقد أجبناك أيضاً فى باب الاستطاعة بما فيه الكفاية ؛ وأوضح البرهان ، وما لايقدر له أحد من المجبرة ، ولا غيرهم ، على نقض أبداً .

أدلة أخرى فى الاستطاعة :

ونحن نقول لك فى الاستطاعة أيضاً : أخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، على

---

(١) مثل جار ، معناه توبيخ الخصم والحط من شأنه .

الناس عندما بعث إليهم محمداً ، صلوات الله عليه وعلى آله ، أن يقولوا : لا إله إلا الله ، وأن يقرّوا أن محمداً رسول الله ؟!..

فاذا قلت : نعم . قلنا لك . فاخبرنا هل افترض الله ، عز وجل ، عليهم من ذلك، ما يقدرون عليه ويمكنهم ، أم ما لا يقدرون عليه ولا يمكنهم؟

فإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افترض عليهم أمراً لا يقدرون عليه ولايمكنهم[1].

لزمك أنه افترض عليهم ، ما لم يجعل لهم السبيل إليه ، ولا المقدرة ، وأنه قد أبطل فى قوله فى كتابه ، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[2] ، أى عَرَّفناه طريق الخير والشر والحق والباطل، ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا..﴾[3] .. فأى دلالة إلى سبيل أعظم من هذه الدلالة .

١٢٠ ظ/ ويكفيك أيضاً قوله ، عز وجل :/ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]. و ﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[5]، وإن قلت : إن الله ، عز وجل ، افتراض عليهم أمراً يقدرون على اتباعه وفعله ويمكنهم ، بطلت دعواك فى الاستطاعة أنها مع الفعل ، ولزمك أن الاستطاعة قبل الفعل ، ولولا ذلك لما افتراض الله عليهم أمراً لايقدرون عليه ، من قبل أن تقع استطاعتهم فيه مع فعلهم ، فيلزم أنه يكلف الفروض قبل وجود الاستطاعة .

وهذا ما لا يجوز فى عدل ، ولاحقٌ ولا حكم ولا عقل ، وهذه وحدها تكفى من عقل .

***

(١) تكررت العبارة فى الاصل واظنه سهواً من الناسخ .

(٢) سورة البلد : الايات ٨ - ١٠ .

(٣) سورة البلد : الآيات ١١ - ١٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٦

(٥) سورة الطلاق : الآية ٧

الاستطاعة مع الفعل عند المجبرة :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم : عن قول الله ، عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ [الْبَيْتِ] مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

فقل اخبرونى : ما الحج عندكم ، أليس هو الطواف بالبيت ، والموقف فى عرفات والمشعر، وقضاء تلك المناسك بمكة ومنى [2] ؟!..

فإن قالوا: بلى [3] . فقل أخبرونى عمن له مائة [4] الف [5] دينار، وألف جمل ، وأشباه ذلك، وهو صحيح ، يستطيع الحج، وهو بالبصرة أو بخراسان ، أو ببلد من البلدان ناحية عن تلك المواقف والمشاهد ؟

فان قالوا : نعم . فقل أفليس يستطيع الطواف بالبيت ، ووقوفاً فى تلك المواقف ، وهو مقيم فى بلده ، لاياتى مكة ، ولا يقربها ؟!.. أفليس قد يستطيع الطواف بالبيت ، وهو مقيم ببلده[6] ، ولم يذهب فيكون مقيماً بخراسان ؟؟!..

رد أحمد بن يحيى :

١- الجواب قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما ، زعمت انه لا يكون حج الرجل ولا يستطيع انْ يطوف بالبيت ، ولاياتى جميع المناسك، وهو فى بلده، وكذلك لا يجوز فى غيره من أهل خراسان ولا العراق ولا مصر، وغيره من البلدان .

تريد بذلك - أن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل ، وذلك خطأ منك ، وجهل بالاستطاعة كيف هى .. وقلت : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة (أو غيرهم) ، أن يحجوا وهم فى بلدانهم ؟!..

---

(١) فى الأصل : ولا غيرهم .

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٢) فى الأصل : ومنا .

(٣) فى الأصل : بلا .

(٤) فى الأصل : معه .

(٥) فى الأصل : الف .

(٦) العبارة مكررة فى الأصل بداية من : لا ياتى مكة ..

ونحن نقول : إن الله ، جل ثناؤه ، لم يفرض الحجَ على من بالبصرة ولا على من بالكوفه ولا من غيرهم ، أن يحجوا وهم فى بلدانهم !.

ولكنا نسألك : هل يستطيع من بالبصرة ومن بالكوفة ومن بخراسان ، أن يقوم الرجل منهم فيرمى ، بالحجارة إلى رأس نخلة ، (أو إلى) رأس جداره ، ويطوف ببيته أشواطاً ، ويحلق رأسه ويشرب (من) بئره التى فى داره ، ويفعل ما أراد من مجئ أو ذهاب ، أو تكبير أو تهليل ، أو قول أو عمل أو ذبيحة ؟!..

فإن قلت : لا يقدر على ذلك أحد من أهل هذه البلدان التى سميت ، أكذبك جميع الناس، وخرجت من حد من تكلم . وبان جهلك .

وإن قلت : نعم ، هم يقدرون على ما ذكرتم ، هم وغيرهم من أهل البلدان .

١٢١و/ قلنا لك : فتلك الاستطاعة التى هى مركبة فى الآدمى بها يعمل ./ جميع المناسك إذا صار إلى مكة .. فإن قلت : إن الاستطاعةَ منه لا تكون إلا مع فعله . لزمك لنا أنك قد أقررت أن الاستطاعة ، قد كانت موجودة فيه فى بلده ، وإنما عليه المسير والمسافرة ، حتى يؤدى المناسك وفروض الحج بالاستطاعة ، التى أقررت أنها موجودة فيه ، قبل أن يخرج من بلده ، وقد قطعناك فى الاستطاعة، بما قد شرحاه فى صدر كتابنا هذا ، بما كان فيه الكفاية ، غيرأنا لا نجد بداً كلما أعدت مسألة[1] أن نعيد الجواب فيها .

هل يستطيع الإنسان الكفر والإيمان فى وقت واحد؟

٢- وأما قولك لنا : هل يستطيع العباد الكفر والإيمان جميعاً؟.. فجوابنا : إن هذا قول محال؛ لأنه لا يجوز أنْ يكوِن القائم قاعداً ، والقاعد قائماً فى حالة واحدة .

ولكنا نقول : إن العبادَ يستطيعونَ أن يؤمنوا ويستطيعون أنْ لا يكفروا ، وإن دخلوا فى الإيمان وقبلوه ، ودانوا به ، استطاعوا بعد ذلك الخروج منه ، إن أرادوا ، لأنك تعلم كيف حُكْمُ الإسلامِ فى المرتد ، وهذا أكبر دليل ، على أن المؤمن يقدرُ أن يرتدَّ .

---

(١) فى الأصل : مسئله

وكذلك إذا دخل العبادُ في الشرك واعتقدوه ، استطاعوا تركَه والخروج منه إلى الإيمان ، وهذا مشاهدٌ معروف لا ينكره احدٌ ، ان المؤمنَ إن شاء كفر ، وأن الكافر إذا شاء آمن ، وليس قولك : إن من علم الله [1] ، عز وجل ، منه الإيمان ، لايستطيع الكفر ، ومن علم منه الكفر ، لايستطيعُ الإيمان .. هذا القول الذى قلت لايجوز ، لانه نفسُ الجبر ، الذى هو دينك ودين إخوانك، وليس هو دين الله ، عز وجل ، والشاهدُ على بطلان دعواك ، قولُ الله ، عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[2]، وقوله فى المنافقين : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[3].

افتراك ، ويحك ، ما تدبَّرت هذه الآيات قط ، ولاافكرتَ فيها ، وإلى برهان عدل الله، جل ثناؤه ، وبراءته من ذنوب الظالمين !.. وكأنك مارايت ولاسمعت بكافر أسلم ، ولا بمؤمن ارتد عن الإسلام ، ولم تسمع بحكم المرتد ولا بذكره فى القرآن!!.

ولا قوله ، عز وجال ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾[4] ، فذكر ، عز وجل ، أنهم يرتدون باختيارهم ويؤمنون باختيارهم ، لا جبراً ولا قسراً .

٣- ومن الحجة فى قولك : إن الله ، عز وجل ، خلق بعضَ الناس كافراً ، وبعضهم مؤمناً .. وهذا أعظم الفرية على الله ، جل ثناؤه ، وأوضحه رداً لكتابه .

فنقول لك عند ذلك : اخبرنا عن قول الله ، عز وجل : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي

---

(١) مكررة فى الاصل .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٤ .

(٣) سورة التوبة : الآيات ٧٥ - ٧٧ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٥٤ .

الكُفرِ﴾[1] ، ما يريد بهذا القول ، وما هذه الزيادة التى ذكرأنها مزيودة [2] فى الكفر ، هل تلك الزيادة منه زادها فى ا لكفر ، أم هى من الكفار زادوها هم فى الكفر؟!..

١٢١ ظ/ فإن قلت : إن الله / عز وجل ، زادها فى الكفرَ.. قلنا لك : فأخبرنا عن خلقه لهذا الزيادة ، التى زادها فى الكفر ، زعمت ، بعد ما خلق الله الكفر ، عزَّ الله عما قلت ، كيف هى ، وما صورتها ، وأين المقدار الذى بان لك منها ، فى الزيادة فى نفس الكفر ، وهل هى موجودة أو لا ؟!!..

فان قلت : إنها موجودة محدودة ، من قِبل زيادتها فى الكفر ، لزمك أن تعرفنا بها، حتى نعرفها ، كما عرفتها بعينها وحدودها !..

- وإن قلت : إنها ما زاد الكفار فى الشهود وما أحدثوا ، لزمك أنها فعل الكفار، لا فعلِ الله ، عز وجل ، إذ لم تأت على تلك الزيادة ببينةٍ ولا حجة ، ولا جسمٍ يحسٌ، وأنهم هم زادوها فى كفرهم ، أى أحدثوا إلى الكفر كفراً ، وذلك هو الحق.

- وإن قلت : إنها فعل الله ، عز وجل ، وخلقه ، لزمك أن ليس لله ، جل ثناؤه ، بين السموات والأرض إلا فعل يُدركُ ويُحس ، ويعرف بعينه وحدوده ، ويبين بنفسه عن فعل بنى آدم ؟!!.

- وإن قلت : انه لا يدرك ولايُحس ولايُعرف . لزمك أنه بصفة الواحد الذى ليس كمثله شئ ، ولا يقع عليه الحواس!...

لأن الله ، عز وجل ، أخبر نبيه ، صلى الله عليه ، عما أحدثت بنو كنانة [3] من مدركة فى الشهور ، حتى كانوا يرون الحج عاماً فى ذى الحجة ، وعاماً فى المحرم.

فقال الله ، عز وجل ، يخبر نبيه ، صلى الله عليه ، إن ذلك فعلهم لا فعلهُ ؛ فقال :

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) هكذا فى الأصل ، والصواب مزيدة .

(٣) كنانه : قبيله عربية

﴿ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾[1]، فلو كان هذا فعله ما عنفهم عليه، ولا عجّبَ نبيه ، صلى الله عليه ، عنهم ، ولا أضاف ذلك الفعل إليهم !!.

فيلزمه أنه قد دخل فيما عاب ؛ لقوله ، عز وجل ، : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) ﴾[2].

فصح وثبت أن الشئ الزائدَ في الكفر ، هوفعلهم الذى زادوه فى الكفر ، لأن الكافرَ يمكنه الزيادة فى ظلمه وفجوره وكفره ، كما يمكن المؤمن الزيادة فى إيمانه ، لما يكسب من الخيرات والمسارعة فى طلب الدرجات ، وذلك كله فعل العباد لا فعل الله، عز وجل، وقد وجدنا العرب قد أقرت بذلك الذى زادت من النسئ، وتشرفت به ، وفخرت بفعله ، على غيرها من العرب فى الجاهلية ، وانتم أيها المجبرة تعذرونهم ، وتلزمونا لله ، عز وجل ، فعلهم ، وهم يفتخرون بذلك، ويضيفون فعلهم إلى أنفسهم لا إلى خالقهم .

قال شاعرهم :

أليس النسئُ سنتنا عليكم ... بدعناه، ونحن المبدعونا

جعلنا الحج فى وقتين ... لما ملكنا الناس طرأ خاضعينا

أفلا تراه كيف أضاف فعل النسئ إليهم، أنهم هم أبدعوه وسنّوه للناس ، وأن الله ، عز وجل ، لم يسنّه ، ولم يبدعه ، وأنه ، جل ثناؤه ، برئ منه .

وقال الكميت بن زيد الأسدى [3] ، رحمه الله ، فى الإسلام ، يذكر النسئ ماكان من فعل عمر بن يحيى الكنانى .

١٢٢و/ ونحن الناسئون على معدٍ ... شهورهم الحرام إلى الحليل [4]

---

(١) سورة التوبة : الآية ٣٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٢ .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) ذكر البيت ابو على القالى فى اماليه ولم بنسبه لاحد ١ / ٤ وهو من بحر الوافر .

أفلا تراه يذكر أنهم هم الذين فعلوا النسئ ، وأن الله ، عز وجل ، لم يفعله وأنه ، تبارك وتعالى ، قد أوضح فى كتابه انه برئ من النسئ ، وأنهم هم الذين أبدعوه ، ولذلك حرَّمه وأبطله وعاب على فاعله وذمّه ، وأمر نبيه ، صلى الله عليه ، بالحج المستقيم ، والحق الذى هوخلاف النسئ وأنت تزعم أن الله ، عز وجل ، أراد كفر الكفار ، وخلقه وقضاه !!.. عز الله وجل عما قلت وعلا علواً كبيراً .

ألا تسمع إليه كيف يقول - عز وجل : ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ** ﴾(1)، أفلا تسمعه ، عز وجل ، يخبر بمضادتهم له ، مخالفتهم إرادته .

أهذا قول من فعل فعلهم ، أو قول من قدَّره عليهم ؟!..

سبحان الله العظيم ، ما أعظم ما قلتم، وأبين جهلكم وفريتكم عليه ، عز الله ، عز وجل، عن ذلك وعلا علواً كبيراً .

ثم قال ، جل ثناؤه : ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)** ﴾ (2)، أهذا قول من جعلهم كفاراً ، ثم قال عز وجل : ﴿ **لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ** ﴾(3) ، فهل رأيت حكيماً قط فعل فعلاً ، وهو لا يريد ذلك الفعل ؟!..

كأنك لم تسمعه ، عز وجل ، حيث يقول : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3)** ﴾(4)، أفلا ترى أيها الهالك فى دينه المفترى على ربه ، أنَّ الفريقين جميعاً هما اللذان (5) اتبعا ما أرادا وما اختارا لأنفسهما ، وحكى الله عنهما ، ولم يقل فى نفسه ، جل ثناؤه ، أنه جعلهما على تلك المنزلتين ، ولا قدَّر عليهما تلك الحالتين ، إلا الأمر والنهى ؟!.. قدوس قدوس رب الملائكة والروح .

---

(1) سورة التوبة : الآية 37 .

(2) سورة النساء : الآية 147 .

(3) سورة النساء : الآية 148

(4) سورة محمد : الآية 3 .

(5) فى الأصل : الذان .

ونحن نسألك فنقول : أخبرنا عن رجل سرق من صندوق رجل مائة [1] دينار ، فلما صار بها فى بعض الطريق ، سقط منها خمسون ديناراً ، فلما أصبحَ ظفر به وأخذه ، فقال الرجل له : أين الدنانير ؟..

مثل للإيضاح :

قال : ضاعت منى ، ولم يبق معى إلا هذه الخمسون الباقية ، فجاء به الرجل الى قاضيكم ، فاستعدى عليه ، وطالبه بالمائة دينار كلها . فقال الرجل السارق : الله ، عز وجل ، هو الذى قضى [2] علىَّ بسرقة هذه الدنانير ، وهو الذى أذهب نصفها، وهو الذى ترك معى نصفها وليس على لوم!.

فنقول لك : ما قولك فيما يقول قاضيكم فى هذا الحكم ، هل يلزم الرجل السارق المائة كلها ، أو يقبل منه الخمسين ، ويسقط عنه غرامة الخمسين الأخرى ؟!..

فإن قلت : يقبل منه . لزمك أن قاضيكم أعدل، عندكم، حكماً من الله ، عز ١٢٢ظ/ وجل، الذى ألزم السارق المائة دينار كلها ، ولزمكم أن قاضيكم قد حكم . بخلاف حكم النبى ، صلى الله عليه ، وبخلاف أحكام قضاة الإسلام ، مع ما يلزمك فى قطع يده ، وفريتك على ربك ، وإلزامك ، له سرقة السارق ، وأنه خلق فعله، وقضاه وقدره وأراده ، ثم أمر بقطع يده !.

وهكذا أخبرنا ، عز وجل ، عن عمل الشيطان بالانسان ، حيث يقول : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[3]، فوصفتم الله ، عز وجل، فى الجور والظلم لعباده، بصفة الشيطان وما يفعل بحزبه الكافرين !!.. سبحانه الله العظيم العلى عن قولكم .

وإن قلت : إن القاضى لا يسمع دعواه ، ولا ينظر فى حجته ، فإنه يغرّمه الخمسين التى ضاعت منه، ولم يقبل [4] قوله : إن الله ، عز وجل، هو الذى قضى عليه سرقة المائة الدينار.

---

(١) فى الأصل : معة .

(٢) فى الأصل : قضا .

(٣) سورة الحشر : آية ١٦ ، اخطأ المؤلف فى ذكرها .

(٤) فى الأصل : ولم يقبل .

قلنا لك : فكيف يجوز أنه يغرّمه وحده المائة الدينار ، وقد صح أنه معه آخذاً آخر أعانه على أخذ الدنانير ، وقدَّره على سرقته ، ولم يخل فعله الذى شايعه وقدره عليه ، وأراد منه ما صنع وهو الفاعل لفعله ، والخالق لتلك السرقة والمريد لها؟!.

فكيف يلزمه قاضيكم المائة الدينار كلها ، وقد صح له أنه معه غيره ؟.. والواجب عليه فى العدل أن يغرِّمه نصفها ، ويغرم الذى صح عنده أنه غير برئ من فعل هذا السارق نصفها الآخر ؛ لأن هذا هو العدل . فاختر أى ذلك شئت !.

فايهما ما قلتَ به سقطتْ دعواك ، وبطلت حجتك ، والحمد لله رب العالمين .

***

الاحتجاج بآية البغاء على عدل الله :

وقد قال الله ، عز وجل ، ما يشهد للعدل، وظهور حجتنا على حجتكم ، قوله عز وجل : ﴿ **وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)** ﴾[١] .

فلو كان الله ، عز وجل ، هو الذى أراد منهن الفجور ، وقضاه عليهن، وخلقه من فعلهن ، ما نهاهم عن إكراههن على الفجور.. وكيف ينهاهم عن إكراههن على شئ أراده وقدَّره وخلقه ؟!..

سبحانه الله العلى العظيم ، ما أشنع هذا القول، وأفسد حجة من ادعاه .

وأما قوله : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)** ﴾ ، فقد جاء فى التأويل ، إن ذلك يخرج على وجهين :

١- **أما أحداهما** : فإنه ، عز وجل ، يقول : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣٣)** ﴾، لمن كف عن إكراههن وتاب، فإنه يغفر له ما قد مضى من إكراههن ، إذا صحت توبته .

٢- **والوجه الآخر** : فقوله : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)** ﴾، يعنى بهن

---

(١) سورة النور : الآية ٣٣ .

إذا حملوهن من الإكراه على الفجور على ما لا يُردنَ، والاول احبُ الوجهين إلينا ، والحمد لله رب العالمين.

مقالة العباد بين الحقيقة والافتراء :

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم هل كلفكم الله، تعالى، ان تعلموا انكم ١٢٣و/ مخلوقون، وتعلموا ان الله خلقكم ونهاكم ان تروا انكم خالقون ، أو ترون ان الله مخلوق ؟../

فان قالوا : نعم. فقل : هل تقدرون على ان تروا أن الله مخلوق، وانكم خالقون؟.. فإن قالوا: نعم[1]..

فقل : افليس تقدرون، وتستطيعون ان تروا انكم خلقتم السموات والأرضين، وما فيهن ، وتقدرون وتستطيعون ان تروا ربكم دابة من الدواب وانه مخلوق ؟!..

فان قالوا : نعم . فقد اعطوك انهم يقدرون على ذلك، فما تريد منهم بعد هذا؟!..

وأى فرية أعظم من هذه الفرية ، من ان يقول عبد" : إنى اقدر واستطيع وارى انى خلقت كل شئ!!.. حتى يكون ذلك مبلغهم من العلم ، وارى ان خالقى دابة أو شجرة، وأنى خلقته وصنعته !!

رد أحمد بن يحيى : هناك فرق بين قول الحقيقة وادعائها :

الجواب قال أحمد بن يحيى : صلوات الله عليهما ، جل الله وعزّ وجل وتقدس عما قلت ، وإليه من الفرية اضفت ، فقد فهمنا ما ذكرت وقلت ، ولسنا نقول ما قلت من القول الشنيع . فاسمع جواب مسالتك هذه ، واصغَ إليها ، فإنك قد اهلكت اتباعك وافسدت عليهم دينهم ، فلا يُبعد الله إلا من ظلم .

ونحن نقول فيها : إن الخلق كلهم يقدرون ويستطيعون، ان يقولوا فى الله ، عز وجل ، من القول القبيح، والصفة الفاحشة الشنيعة ما ذكرت ؛ لان ذلك يمكنهم

---

(١) من عندنا وليست فى الاصل .

ويستطيعونه ، كما استطعتموه من إلزامكم له شرك المشركين ، وكفر الكافرين ، وخلق زنا الزناة ، وسرقة السُّرَّاقُ ، وغير ذلك من جميع المعاصى ، فالخلق يقدرون على أن يقولوه قولاً بألسنتهم وأهوائهم ، إن أحبوا ذلك ، لم يَحُلْ بينه وبينهم حائل ، لما كان الأمر من الله ، سبحانه ، تخييراً لا جبراً ، فافهم هذا القول .

وأما أن يقدروا ويستطيعوا أن يروا فى أنفسهم ، بالحقيقة ، أنهم خلقوا السموات والأرضين ،وأنهم خلقوا الأشياء التى ذكرت ، وأن صانعهم دابة وشجرة ، زعمت ، هذا مالا يجوز ولا تقبله العقول ، لأن عقولهم المركبة فيهم، لا تدلهم أبداً على أن يدَّعوا فعل ما لم يفعلوا إذا تركوا المكابرة ، لأنه صحيح فى عقولهم ، وعند أنفسهم بالحقيقة ، أنهم لم يفعلوا إلا ما فعلوه ، فافهم هذا الباب .

ولكنهم يقدرون أن يقولوا أنهم خلقوا السموات والأرض قولا بألسنتهم ، وهم يعلمون عند الصدق لعقولهم ، أنهم قد كذبوا وقالوا الباطل للحقيقة المتقررة فى أنفسهم ، أنهم يعجزون عن جميع ما ذكرت . فليس أحد يرى فى نفسه إذا صدّقها ، أنه فعل أمراً لم يفعله .

فأما القول باللسان ، فهو يمكنهم ، كما أمكنك أن قلت على الله عز وجل ، الفرية والكذب .. واحتججتَ على **أهل العدل** بخلاف ما فى كتابه ، **أما خلق الأفك فذلك جائز أن يفعله أهل الإفك ويخلقوه** ، **وخلقهم له هو فعلهم** ، **وذلك جائز فى اللغة العربية أن يسموا صنعهم خلقاً** ، **وكلُ صانع لشئ فهو خالقٌ له** ، **ولذلك لم يجُزْ على الله**. عز وجل، ١٢٣ظ/ خلق غيره ولا صنع غيره ، قال الكميت بن زيد :

أرادو أن تبدل خالقات أديمهم بعس ويعتدينا (١).

والخالقات عند العرب النساءُ الدابغات للأدم ، وهن الفاريات للأدم أيضاً .

وقال زهير بن أبى سلمى (٢) يمدحُ هرم بن سنان بن أبى حارثة الغطفانى

---

(١) البيت : لم اجده فى ديوان الكميت : وهو من بحر الوافر .

(٢) **زهير بن أبى سلمى** : زهير بن ابى سلمى بن ربيعة المزنى ، من مضر : حكيم الشعراء فى الجاهلية ، له اخت شاعرة ، وولداه **كعب وبجير** شاعرين ، عرف عنه تنقيح الشعر حتى صارت له قصائد تسمى الحوليات ، واشهر شعره «أمن ام أو فى دمنة لم تكلم».. طبع ديونه عدة مرات ، وتوفى سنة ١٣ ق.هـ. انظر ترجمته فى الزركلى : الأعلام ٢ / ٥٢ ، وكذلك الأغانى ١٠ / ٢٨٨ - ٣٢٤ .

وأراكَ تفْـــرى مـــا خلقـــتَ   وبعضُ القوم يخلقُ ثُمَّ لايَفْرى [1]

فهذا الشاهد من لغة العرب ، والذى قلت فأمر لايجوز أن يرى العباد أنهم خلقوا ما لم يخلقوا ، لأن هذا أمر مستحيل ، وإذا استحالت الأشياء فى عقول الخلق ، كما وصفت ، سقطت عنهم الحجة ، لما دخلَ فى العقول من الفساد .

فأما أن يقولوا قولاً بالمكابرة والظلم واتباع الهوى ، وهم يعلمون عند أنفسهم غيره، فذلك الصحيح فى عقولهم ، فهذا ما لا يجوز غيره . فافهم ما قلنا ، فإن الحق لا يشوبه الباطل .

هل يحول علم الله بين الإنسان والإيمان والطاعة :

ومن الحجة لنا عليك فى أن العباد يستطيعون ، ويقدرون أن لا يعلم الله ، عز وجل ، منهم الكفرولا الشرك ولا شيئاً من جميع الظلم .

قوله لنبيه ، صلى الله عليه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2] ، فنقول لك : أخبرنا عن هذه الآية أهى على الحقيقة من قول الله ، عز وجل ، أنه أرسل رسوله إلى الناس جميعاً ، أم هى آية يجوز تأويلها عندكم ، أنها إلى بعض الناس دون بعض ؟ .

فإن قلت : نعم ، إنه يجوز أن يكون تأويلها إلى بعض الناس ، دون بعض .. أكذبك جميع أهل القبلة من الفرق كلها ، وأكذبك الله ، عز وجل ، بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾[3] ، والكافة فى لغة العرب هى العامَّة للكل ، لا خصوص فيها .

ثم نقول لك : أخبرنا هل أراد رسول الله ، صلى الله عليه ، من الخلق كلهم أن يجيبوا دعوته ، ويدخلوا فى الإسلام ، حتى لا يتخلف منهم أحد ، أم لم يُرد ذلك ؟ وهل أمره الله ، عز وجل ، بدعاء الجميع ، أم لم يأمره إلا بدعاء البعض ؟! .

---

(١) والبيت فى ديوانه ، ص٩٤ ، وجمهرة أشعار العرب القرشى ٢ / ٢٤٠ . وفى اللسان ١١ / ٣٧٥، وجاء على هذا النحو :

وَلأنت تفرِى ما خلقتَ   وبعضُ القوم يخلُق ثم لا يَفْرى.

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٣) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

فان قلت : إن الله ، عز وجل ، أمره بدعاء البعض دون البعض ، كان هذا هو الكفر، والرد للقرآن صراحاً .

وإن قلت : إن الله ، جل ثناؤه، قد أمرَ بدعاء الناسِ جميعاً إلى الاسلام على ما نجده منصوصاً فى القرآن ، وأراد ذلك منهم رسول الله ، صلى الله عليه ، لزمكَ أن الله ، عز وجل، أرادَ ذلك منهم (و) رسول الله صلى الله عليه .. (و) لزمك أن الله ، عز وجل ، أرادَ إسلامهم كلهم ، وبطل قولك وسقطت حجتك ، أن ، زعمت ، أرادَ منهم الكفر، لعلمه أنهم لا يومنون!..

ولو كان ما قلت حقاً ، لم يقل لهم رسول الله ، صلى الله عليه ، عن الله ، جل ثناؤه: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(١)، ولم يُقم الرسول ، صلى الله عليه ، على كلهم الحجة، وقد علم أن منهم من لايؤمن ، وأن الله ، عز وجل ، قد علم أن منهم من لايؤمن ، فقد صح أن العلم ليس هو الذى منعهم، ولا حال بينهم وبين الطاعة ، وفى أقل من هذا كفاية لقوم يعقلون ، والحمد لله رب العالمين .

١٢٤و/ ومن الحجة عليكم أيها المجبرة فى قولكم / إن الله ، تبارك وتعالى ، خلق الكفرَ والشركَ والزنا واللواط ، وقتل الأنبياء وأئمة الهدى ، وقطع الطرق وجميع الفواحش والكذب.

أن نقول لكم : أخبرونا كيف جوابكم للزنادقة واليهود والنصارى ، إذا سألوكم فقالوا لكم : نحن نجد فى كتابكم ، وتحتجون علينا ، أن ربكم قال لنبيكم : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾(٢)؟.. يخبر أنه لا خالق معه ، يخلق ما خلق ، وأنه هو الذى خلق ، وأنه لا خالق معه يخترع الأشياء ، ويقدر على الأشياء ، أليس هذا هو خالق عندكم وفى كتابكم ؟!.. فلابد لكم من نعم .

فإذا قلتم ذلك ؛ قالوا لكم : فأخبرونا الآنُ عن قوله ، يضيف إلى عباده : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾(٣)، نجد هذا فى كتابكم .. أفليس هذا القول قد دَلَّ على أن ثم خالقاً آخرَ غيره ، يخلق الإفك؟!

(١) سورة الاعراف : الآية ١٥٨ .
(٢) سورة فاطر : الآية ٣ .
(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٧ .

هذا نجده فى قرآنكم ، الذى تدعون أنه من عند حكيم عادل ، حيث يقول : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1]، هذا ، زعمتم ، فى قرآنكم، فلابُدَّ لكم أن تجيبوهم بنعم ! /

فيقول لكم السائل عند ذلك : فأىُّ اختلاف يكون أعظم من هذا الاختلاف ، وأى مناقضة ؟!!...

ثم قال يعنف قوماً ، فقال لهم : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ، فلابد لكم، إنكم قد لزمتكم المناقضة والاختلاف ؛ لأن هذا بيِّنٌ واضحٌ فى القرآن ، لاحيلةَ لكم فى دفعه ولا ردِّه.

فإن قلتم لهم : كلُّهُ خلق الله ، عز وجل ، وفعله هو خلق الإفك ، وغيره مما خلق الله ، مثل السموات والأرض والشمس والقمر وغير ذلك ، لزمكم أنَّ قوله : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾، ينقض قوله: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ !.. ويفلجكم خصماؤكم من اليهود ومن النصارى والزنادقة وجميع ، من خالفكم ، لابدَّ لكم أن تخلصوا منهم بحجة ، فإن جسرتم على أن تقولوا : إن الله خلق الإفك ، وغيره من جميع الظلم ، لزمكم فى ذلك خصلتان فاضحتان .

١- أما واحدة : فيجب عليكم أن القرآن يختلف ويتناقضُ .

٢- والخصلة الأخرى: فيلزمكم أنكم جعلتم خالقكم فى عداد الكذابين ، الذين يفعلون الإفك ويلزمونه غيرهم ، ممن لم يفعله .

فلا يزال الكلام يُكررُ عليكم أبداً ، ويدخل عليكم فى التوحيد وحكمة الحكيم وعدل العادل ، الفساد والوهن ، والخلل الذى لابعده من العبث أبداً ، حتى ترجعوا عن قولكم ، وإلا بان كفركم ، فتقرروا أن الذين خلقوا الإفك هم العباد ، الذين لاطاقة لهم بخلق شئ من جميع الأشياء ، (إلا) الإفك والمعاصى ، وما أتوه من العدوان، الذى اختاروه ، وأنهم لايقدرون على خلق شئ ، غير المعاصى التي من فعلهم ، ولما أرادوا خلق خردلة ما قدروا عليها ؟!.. لأن ذلك ليس فى قوتهم ، وخلق الإفك وجميع المعاصى فى قوتهم ، وهم فى ذلك مخيرون تخييراً .

فإما أنْ يقدروا على خلق شئ غير ذلك ، فيخرجوه من بعده إلى (العجز)[2]

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٢) مكان هذه الكلمة بياض فى الأصل .

١٢٤ظ/ فلا سبيل لهم إليه ، والدليل على / ذلك قوله ، عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)﴾(١).

وإن الله ، جل ثناؤه ، هو الخالق القوى القادر ، الذى يخترع الأشياء فيحدثها ، ويخرجها من العدم إلى الوجود ، فذلك الاختراع والابتداع، لما لم يكن شيئاً موجوداً ، هو الخلق الذى خلقه الله ، عز وجل ، لا خالق له معه ، ولا مشارك له فيه ، ولا صانع له معه .

وأما اكتساب بنى آدم ، فذلك خلقهم الذى هو حركاتهم المتولدة من قواهم ، وقواهم هى الاستطاعة المركبة فيهم التى يسألون عنها ، ولا يعاقبون عليها ولا عيب فيها ؛ لأن ذلك فعله ، جل ثناؤه ، الذى قال فيه : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾(٢)، وإنما عاب عليهم ، وعاقبهم ولزمتهم له الحجة فى الحركات التى اكتسبوا بها المعاصى ، واختاروا ذلك الاكتساب باتباع الهوى ، والأثرة لعلها جُلُّ الدنيا .

***

---

(١) سورة الحج : الآيتان ٧٣ – ٧٤ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٣